رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2448) السنة التاسعة
الاثنين (9) نيسان 2012

10

عبود الشالجي .. صورة تاريخية

ذكريات عن باصات الامانة

عبد المجيد الشاوي..
وزيراً ظريفاً ومسؤولا عفيفاً (1852-1927)

د. حميد مجيد هدو

من الشخصيات التي لم تعط حقها في التدوين وذكر سيرتها وابراز معالم شخصيتها هو الشخصية البغدادية الفكهة عبد المجيد الشاوي الذي يتداول الناس نكاته وظرفه ومقالبه.

ولد هذا الظريف الاديب في بغداد من عائلة معروفة جل ابنائها من الزعماء والامراء والفضلاء والادباء والمشايخ وقد ذكرته بعض المصادر واصفة اياه بالوزير المتندر والاديب المتأدب والشاعر المقل والكاتب الجرئ والمفكر الحر.

اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته فبعضهم اثبته سنة ١٨٦٢ وما اثبتناه هو ان عبد المجيد فتح عيونه على مجلس ابيه اليومي يصغي ويتعلم فافاد منه الكثير من حواد الايام وما جرى على الناس من ماس في الازمنة السابقة وما حدث في المجتمع من احداث وكذلك افاد الكثير من مجالس اعيان بغداد التي كان يحضر الكثير منها ويسمع ما يدور فيها من احاديث اجتماعية وادبية اصبحت بمرور الايام تؤلف خزينا معرفيا لا يستهان به خلقت منه شخصية بغدادية متميزة هذا اضافة الى ما تعلمه في الكتاتيب ثم من علماء عصره وادباء زمانه امثال على الخوجة، وعبد الحميد الشاوي.

ساهم في تحرير جريدة الزوراء في العهد العثماني ولما اشتهر وعرف بين اوساط المجتمع البغدادي. صدر امر تعيينه عضوا في مجلس (المبعوثان) باسطنبول ممثلا عن العمارة احدى مدن العراق الجنوبية.

استمرت عضويته لدورتين (١٩١٢-١٩١٨)، وفي سنوات الاحتلال البريطاني للعراق شغل منصب رئيس بلدية كرخ بغداد عام (١٩١٩) وظل في هذا المنصب حتى تالفت الوزارة النقيبية الاولى في ١٩٢٠/١٠/٢٧ بامر من البريطانيين وبحكم صلته بالسيد عبد الرحمن النقيب الذي اختاره المحتل رئيسا للوزراء. عينه النقيب وزيرا بلا وزارة اي وزير دولة مع آخرين في وزارته الاولى التي لم تدم طويلا.

وظلت صلاته قوية مع عبد الرحمن النقيب وحضوره مجلسه باستمرار في الحضرة الكيلانية.

ومن نكات الشاوي الظريفة التي تروى عنه، انه مرة ساله احد زملائه من وزارة الدولة الذين لم تسند لهم حقيبة معينة عن السر في ان راتب وزير الدولة يساوي نصف راتب الوزير الذي يشارك في حقيبة وزارة معينة. فكان جواب الشاوي للسائل: انه مطابق لحكم الشرع الشريف (وللذكر مثل حظ الانثيين).

وبعد تولي فيصل بن الحسين حكم العراق اختير عبد المجيد الشاوي متصرفا للواء الدليم (محافظة الانبار) سنة ١٩٢٢، وفي عام ١٩٢٤ انتخب نائبا في البرلمان العراقي ممثلا للواء الكوت ثم نائبا عن لواء الديم (١٩٢٥). وفي عام ١٩٢٧ اختير عضوا في مجلس الاعيان وهي السنة التي رحل فيها عن هذه الدنيا بسبب المرض الذي الم به.

اشتهر المترجم له بسرعة البديهة والظرف والنقد اللاذع والاشارة البليغة والتوقد الذهني وحضور النكتة. يروي اخباره يوسف غنيمة وامين الريحاني وحسين حاتم الكرخي وغيرهم. وانني اعتمدت في هذه الدراسة على ما دونته اقلامهم عن هذه الشخصية المتميزة وما تناقلته الاجيال والرجال الذين عاشوا في زمانه وتعلقوا باخباره.

يروى انه ذات مرة وفي المجلس النيابي جرى التصويت على قضية من القضايا فكانت الاغلبية قد صوتت بالموافقة فلما جاء دوره كان جوابه (منافق) بينما الاخرون قالوا (موافق).

ومرة جاءه موظف مفصول من وظيفته مستعطفا اياه طالبا ان يتوسط له عند الوزير الذي فصله من الخدمة في وزارة المالية فلما تحدث مع الوزير بشان اعادة هذا الموظف المفصول اجابه الوزير بعدم الموافقة، لان قرار الفصل قد اتخذ بحقه بسبب رشوة قد اتهم بها فما كان من (الشاوي) وهو الناقد اللاذع الا ان قال للوزير: يا معالي الوزير يفصل هذا الموظف بسبب الرشوة؟؟ اذن ارجوك الاسراع باعادة تعيينه في وظيفته الصغيرة لئلا يعلموا به فيعينوه وزيراً!!

ويروي امين الريحاني في كتابه ملوك العرب ان الشاوي كان احد اربعة ممن يكفرونهم في العراق وهم: الزهاوي والرصافي وكاظم الدجيلي ومترجمنا، ويصف عبد المجيد الشاوي بانه من القلائل الذين يعطون المنصب اضعاف ما ياخذون منه فيخلصون الخدمة، يعدلون ويصلحون ولا يكون جزاؤهم غير جزاء من لايعدل ولا يصلح بل اقل، يبذلون من قواهم ومواهبهم خيرها ويخرجون من دار الحكومة والفقر بشيعهم الى البيت النزاهة ترافقهم وتلزمهم دائما.

وفي رواية لأمين الريحاني انه يشبه عبد المجيد الشاوي بالسياسي الفرنسي كليمن في صورته وذكائه المتاجج وسلوكه المتواضع الشاذ وقد تكون صورة الاسد في وجه الشاوي اظهر من صورة النمر – على حد تعبير الريحاني – إلا انه في صوته لا يزمجو

وفي اجتماع مع امين الريحاني في احدى حفلات الملك فيصل الاول ان قال للضيف الريحاني : (انت ابن المعري وانا ابن الخيام والاثنان اخوة ليس في الانساب اشرف من هذا النسب:

واذا انتسبت وقلت اني واحد من خلقه فكفى بذاك تنسباً

اراد المعري بقوله من خلق الله ونحن فكرا ومبدءاً من خلقه اي من خلق المعري، فقال احد الحضور ولكن المعري كان متقشفا الى حد النسك، فاجاب عبد المجيد الشاوي على الفور: لزوم ما لايلزم ونحن كذلك ننقشف الى حد الاضطرار.

فقال آخر: والمعري يذم بنت الحان، فاجاب الشاوي الذي امسى نقطة الدار: والخيام يمدحها وهي تستحق الاثنين الذي ينقص المعري يكمله الخيام هما خير الرسل رسولان صادقان كريمان سويان – فبأي الاء ربكما تكذبان – وقد برهن الشاوي بذلك في تلك الجلسة على انه اتباع الاثنين الصادقين.

كان الشاوي ينظم قليلا من الشعر ولم يكن شاعرا بالمعنى الاجمالي الدقيق ولكن ينظم عفو الخاطر فتأتي ابياته متوازنة رقيقة، لانه صاحب حس شعري مرهف وكان يفضل الكلمة المقولة على الكلمة المكتوبة مثل سقراط.

كانت له وجهات نظر تختلف عما يتداوله المؤرخون والخطباء والوعاظ امثال: الرق وحرية المرأة وحروب المسلمين ولا اريد ان ادخل في صميم هذه الحوادث والاحداث وله رأي خاص بواقع المسلمين اليوم وما آل اليه من تراجع وتخلف عن ركب الامم المتحضرة والمتقدمة وما هي الاسباب والمسببات وطريقة معالجتها.

من طرائف الشرطة العراقية: فضيحة فيضان 1938

عدنان محي الدين

فيْ سنة ١٩٣٨ ارتفعت مناسيب نهري دجلة والفرات بسبب ذوبان الثلوج في شمال العراق واصبح خطر الفيضان يهدد مدينة بغداد بالغرق .فهرعت قوات الجيش والشرطة وطلاب المدارس الى سدة ناظم باشا التي كانت تحيط بغداد من الجهة الشرقية .وكان الماء الهادر قد وصل اليها فباشروا بوضع اكياس التراب على ارضية السدة لتقويتها.

يحكي المعاون محي الدين معاون شرطة السراي :

انه في احدى الليالي التي كان فيها الفيضان على اشده حصلت ثغرة في السداد قرب محلة الوزيرية فأمرني مدير شرطة بغداد المرحوم بهجت الدليمي بمعالجة الموقف بمنتهى السرعة. وحيث لم يكن في شرطة السراي تلك الليلة غير اربعة افراد هم حرس المبنى فتحيرت في امري كيف احصل على رجال لارسالهم الى هناك .

ثم خطر في ذهني ان الجأ الى المبغى العام في ساحة الميدان فطلبت من رأس العرفاء توفيق مرافقتي الى هناك مع اثنين من رجال الشرطة ومفوض الخفر ولدى وصولنا كان المكان يزدحم بالرجال فتم نقلهم بسيارات الشرطة الى منطقة الخطر وما ان اصبح الصباح في اليوم التالي حتى استدعاني مدير شرطة بغداد وقال لي ماذا جرى ليلة امس ؟ قلت له ما الخبر قال اتصل بي مدير الشرطة العام المرحوم السيد هاشم العلوي واخبرني ان زوجة مدير الصحة العام في مكتبه وهي تقول ان زوجها لم يعد الى داره ليلة امس وان حاكم جزاء بغداد الاول لم يباشر عمله في المحكمة وامر معسكر الوشاش لم يذهب الى المعسكر !!

عسكر وسائق سيارة الملك غازي لم يحضر الى قصر الزهور كما ان بعض مراكز الشرطة جاءتها بلاغات بعدم رجوع بعض الرجال الى دورهم فقصصت عليه ما فعلت فطلب مني الاسراع الى هناك واعادتهم فوراً فهرعت الى منطقة الوزيرية وكانوا ينقلون اكياس التراب على السداد وابلغتهم بالعودة معي الى دورهم وبعد اسبوع واحد على هذه الحادثة صدر امر نقلي من معاونية شرطة السراي في بغداد الى معاونية شرطة الفلوجة في الرمادي!!!!.

حكاية سفير المانيا الهتلرية في بغداد

عبد القادر البراك
صحفي عراقي راحل

اشار السيد فؤاد عارف الشخصية الكردية المرموقة، واحد الذين رافقوا الملك غازي ابان دراسته في الكلية العسكرية ورافقه بعد اعتلائه العرش في مذكراته التي نقلها الزميل رشيد الرماحي ونشرتها (الاتحاد)، اشار الى وجود علاقة صداقة بين الملك الراحل والدكتور (غروبا) سفير المانيا الهتلرية في العراق عندما كانت العلاقات الدبلوماسية العراقية – الالمانية على احسن ما يرام في عهد غازي ووالده فيصل، وانه اي الدكتور غروبا هو الذي زود محطة اذاعة قصر الزهور بالات زادت من نطاق بثها الاذاعي.

ولكي لا يتبادر الى الاذهان ان العلاقة بين الملك والسفير الالماني كانت ذات طابع سياسي بحيث يفهم منه ان الدكتور (غروبا) انما زود اذاعة قصر الزهور بادوات بث اضافية كانت بقصد تقوية الدعاية الالمانية المضادة لبريطانيا خلال الفترة التي كانت تتاهب فيها الدولتان الى الاقتتال في اواخر الثلاثينات، اقول ان العلاقة بين السفير الالماني والاسرة الهاشمية لم تكن قد بدأت بعمل (غروبا) كسفير لحكومته في بغداد، بل انها كانت قبل ان يثبوا الملك فيصل الاول عرش العراق، بل وبالضبط منذ ان كان (غروبا) (وقبل قيام الحكم الهتلري) من موظفي وزارة الخارجية الالمانية واثر مرور الملك فيصل بالمانيا في طريقه الى لندن بعد ان اطاحت فرنسا بحكمه في (الشام).

وكانت الحكومة الفرنسية قد منعته من دخول اراضيها وهو في طريقه الى بريطانيا فحصل على اذن من المانيا بالمرور في اراضيها ولم تكتف الحكومة الالمانية بذلك، بل انتدبت وفدا لاستقباله برئاسة (غروبا) الذي قام بمهمته احسن قيام مما حمل الملك الذي اقصي عن عرشه في الشام ورشح ليكون ملكا على العراق ان يقوم باهدائه ساعة يدوية ظل (غروبا) يتباهى بها بين اصدقائه الكثيرين في العراق. وقد المح الى ذلك السياسي المعروف رستم حيدر في بعض اوراقه ومذكراته!

ولاشك ان هذه الصداقة التي نشأت بين الملك فيصل والدبلوماسي الالماني هي التي عززت فكرة قيامه بتمثيل بلاده في العراق خلال عهدي الملكين المرحومين فيصل وغازي الى ان قامت الحرب الكونية الثانية وحملت بريطانيا العراق على قطع علاقاته مع المانيا وابعاد سفيرها عن العراق!

وبالرغم من ان اسلوب الابعاد كان قاسيا، فان نوري السعيد بعث رسالة تلطيف حملت الى غروبا قبيل مغادرته الارض العراقية في الوقت الذي قال فيه لمن استكثروا عليه اسلوبه في ابعاد (غروبا) انني اقوم بابعاده واذا انتصر هتلر فليقم بشنقي – كما روى ذلك المؤرخ المعروف السيد عبد الرزاق الحسني – ذلك ان نوري السعيد كان يؤمن ايمانا اعمى بانتصار الحلفاء على المانيا في حين ان الكثير من العسكريين الذين تقوم حساباتهم على الدرس والاستدلال كانوا يخالفونه في ذلك ولعله حسب – حسابا بعيدا – حين بعث برسالة التلطيف الى الدبلوماسي الالماني.

وفي مذكرات (غروبا) وغيره من الدبلوماسيين الاجانب الذين عملوا في العراق الكثير من الاخبار الذين عملوا في العراق الكثير من الاخبار عن العلاقات التي ازدهرت بين الحكومتين العراقية والالمانية، وبصورة خاصة في عهد الملك غازي الذي تبنى رعاية الوفد الرياضي العراقي الذي مثل العراق في (مونيخ) برئاسة فقيد الرياضة اللامع اكرم فهمي وعدد من الرياضيين الذين ذهب بعضهم للاعتقال بتهمة النازية خلال الحرب الكونية الثانية وهم ابعد ما يكونون من الاهتمام بالشؤون السياسية.

وظل (غروبا) يحن الى العراق، والى تجديد علاقاته بالعديد من اصدقائه الذين سبقوا الى المعتقلات في (العمارة) و(الفاو) و(نقرة السلمان) حتى تحقق له ذلك في اوائل الخمسينات بعد ان عادت العلاقات العراقية – الالمانية الى ما كانت عليه، ولكنه لم يعد سفيرا لبلاده بسبب بلوغه سن التقاعد فجاء الى العراق ليمثل بعض الشركات الالمانية التي تقدمت بعروض لاقامة مشاريع (مجلس الاعمار) فوجد عددا من اصدقائه الذين اعتقلوا خلال سنوات الحرب بسبب صداقتهم قد اصبحوا وزراء في وزارة نوري السعيد رغم اعتقالهم في عهد وزارته التي تالفت بعد فترة من افشال حركة مايس الوطنية بقيادة رشيد عالي الكيلاني.

وكنت اول من عرف بوصول (غروبا) الى بغداد الى بغداد عن طريق (البارمان الكبير في فندق زيا المعروف عمو غيسي)، فلقد كنت اتصل بهذا الرجل بحكم اعتياد المرحوم صادق البصام صاحب جريدة (الدفاع) ارتياد هذا الفندق واتصالي به فيما يتعلق بتدوير العمل في الجريدة باعتباري سكرتير تحريرها. وقد اشفعت نشر خبر قدوم (غروبا) الى بغداد بنشر مقال بعنوان (الدكتور غروبا في بغداد) قلت فيه ان (الساسة في العالم المتمدن عندما يبلغون سن الشيخوخة لا يستمرون في العمل السياسي، بل يخدمون بلادهم بمجالات اخرى كما فعل (الدكتور غروبا)في حين ان الساسة العراقيين الذي اعتقلوا اعوان (غروبا) اصبحوا يتعاونون مع هؤلاء الاعوان؟

وفهم الساسة المقصودون انهم معنيون بهذا المقال فعاتب كبيرهم صادق البصام بقوله (ان هذا المقال لايدعو الى ابعادنا عن السياسة، بل يدعوا الى ابعادك ايضا فانت عن زملائنا المقصودين بهذا المقال).. وقد اجاب الاستاذ البصام على هذا العتاب بضحكته المعهودة التي كانت تدل على مايتمتع به من طيبة قلب وسلامة قصد!.

جريدة البلد 1965

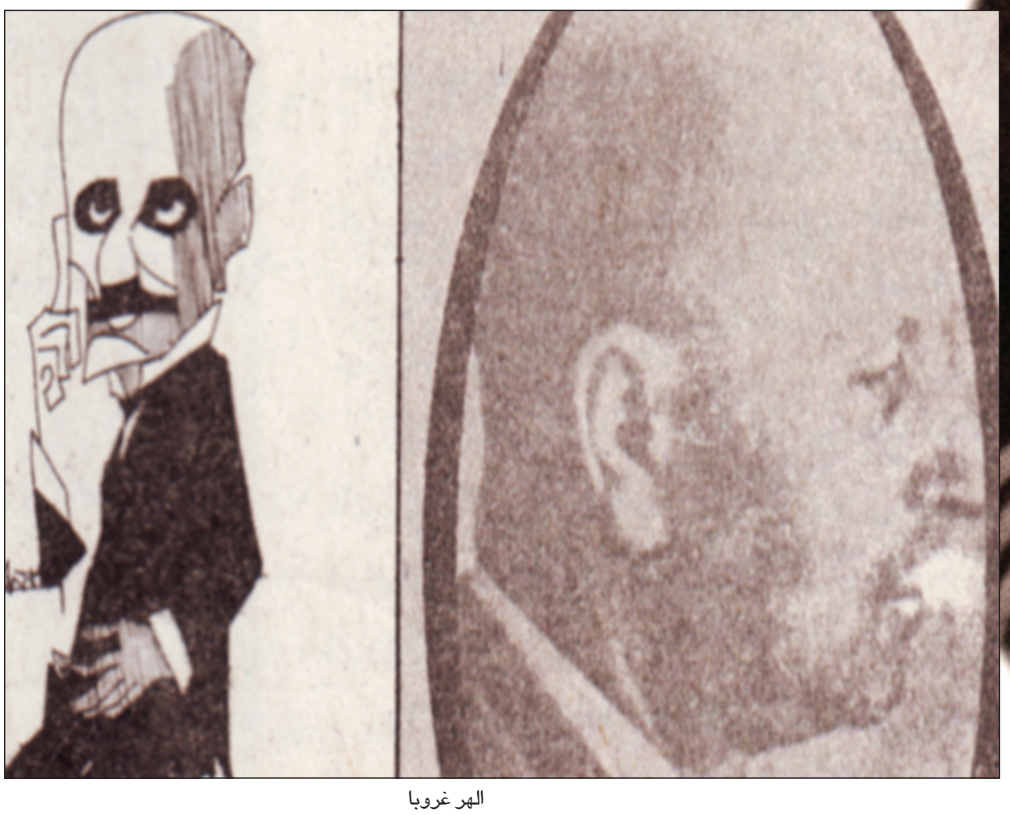

الهر غروبا

كنت الحارس الخاص لابن الباشا المدلل!

مهمة غامضة في الكويت اعقبتها سهرات ومغامرات حتى فجر 14 تموز

رشيد الرماحي
صحفي عراقي راحل

تحول شيخ وقور يطل على التسعين من عمره بهدوء ويتمتع بصحة وعافية ظاهرتين بعد ان ودع التدخين منذ سنوات وبلا رجعة يمتهن فحص (عنتيكات) ايام زمان لروادها وعشاقها في هذه الايام الى راو لاحداث الماضي وتطلعات المستقبل. هارون فرحان الصوالح، وهذا هو اسمه شاءت ظروفه ان يكون احد حراس صباح نجل نوري السعيد الوحيد والمدلل ومن خلاله عرف الابن المشاكس عن كثب ووالده الذي كان يحرص عليه حتى قتلا سوية بعد ثورة 14 تموز 1958 بايام.. ومن خلالهما الاب والابن صار وثيق الصلة بمعظم ساسة العهد الملكي فوقف على اسرارهم وخفاياهم وما عرضه لنا هو الجزء اليسير مما تختزنه ذاكرته من احداث عمرها تجاوز النصف قرن من زماننا هذا..!

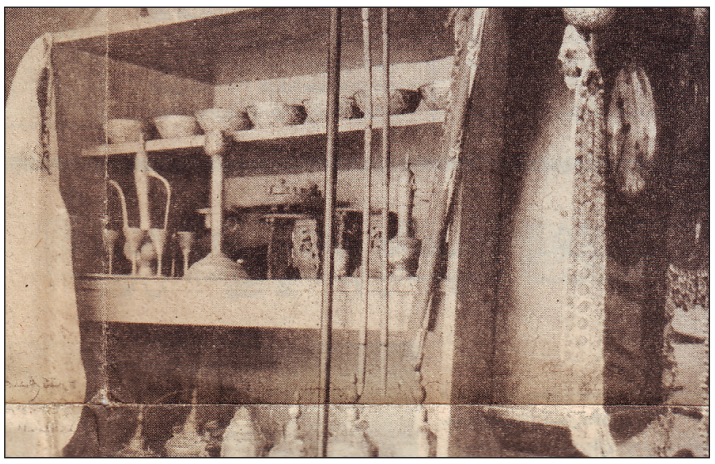

في محل تحفيات غزوان بالمنصور الذي استطاع صاحبها غازي الربيعي ان يطل على الناس من عراقيين وعرب واجانب بنماذج منتقاة من (عنتيكات) الماضي التي تحمل اصالته وعراقته، صار هارون او الحاج هارون الذي تزوج عدة مرات وربح بطاقات اليانصيب بالتوالي صار جزءاً من هذه (العنتيكات) وحين انتزعته من بين صور الملوك والرؤساء ادوات الطبخ وملابس العرض وفناجين القهوة المذهبة التي جمعها الربيعي من بيوتات العراق الاصيلة وغاب اصحابها في ظلمات القبور تظل تذكارا لمجدهم الغابر استغرب الحاج هارون ان يحاوره صحفي معتذرا انه نسى ايامه تلك صارت جزءاً من تاريخ العراق، وبالحاح عرض ما تختزنه ذاكرته بشحة عجيبة مؤكدا انه كان نجاراً في معامل الشالجية خلال الثلاثينيات واستطاع صباح نجل نوري السعيد ان يضمه الى حرسه الخاص بعد ان رشحه قريبه معاون الشرطة عبد الرزاق العسكري.

سفرة غامضة للكويت!

قلت له: كيف كانت البداية، بداية تعرفك على صباح السعيد؟ اجاب!

– كنت انذاك اعمل نجارا في معامل الشالجية واستدعاني مرة معاون الشرطة عبدالرزاق العسكري لاصلاح بعض ما في بيت صباح من اثاث منزلية ويبدو ان مهارتي استهوته فعرض علي العمل معه او ضمي الى حرسه الخاص فرفضت بادئ ذي بدء غير اني وافقت في النهاية بعد ان قال العسكري لي بلهجة تهديد وترغيب ان ما ستقوم به جزء من عملك الوظيفي وهكذا كان صرت واحدا من مرافقي ابن الباشا سيما وانه شغل مديرية السكك يومذاك والشالجية جزء منها!

× والمهمة الاولى معه؟

– الى الكويت سافرت معه وكانت فقيرة وشبه خربة ومن اسواقها اشترينا شفرات حلاقة بكميات كبيرة وعدنا بها الى بغداد سوية وكان ذلك في الاربعينيات ويقال كما فهمت بعد ذلك ان صباح باعها في اسواق بغداد.

× وبعد ذلك؟

– صرت ارافقه في مزرعته قرب اليوسفية لاشهد سلسلة من نزواته ومغامراته مع عدد من النسوة وسهراته الحمراء في الملاهي التي اعتاد ان يمضي فيها معظم ساعات الليل حتى طلوع الفجر ليذهب الى بيته يرتاح قليلا ثم يعاود دوامه في مديرية السكك الحديد او الخطوط الجوية العراقية بعد ان صار مديرها العام!.

حادث موت مع فائزة احمد!

× هل تتذكر واحدة من مباذل صباح؟

– اكثر من حادثة مرة اقام حفلة في مزرعته ودعا اليها مطربة سورية نسيت اسمها الان وبعد انتهاء الحفل وتوديع المدعوين كان عليه ان يرافق ضيفته الى الفندق الذي تنزل فيه وفي الطريق تعرضا الى حادث كان يؤدي بهما (بسبب سكر) صباح فقرر والده نوري (باشا) طرد المطربة ومنعها الدخول الى العراق مرة اخرى وفرحت بذلك اذ ربما سيكون هذا درسا له ولكنه كررها مرة بل مرات كانت اخرها مع المطربة فائزة احمد التي منعت من دخول العراق لنفس الاسباب والمسببات ولم تعد للعراق الا بعد زوال العهد الملكي برمته!

زواج بلا غيرة

× وبيته وزوجته الم تعترض على ما يقوم به؟

– حسب علمي ان زوجته وهي مصرية الجنسية كانت لا تريد ان تدخل في مشاكل معه فلم تعترض على اعماله وسلوكه بل حتى غيرة الزوجة المعتادة كادت تختفي علما انني لم اكن قريبا منه داخل منزله وما ارويه يعتمد على السماع لا اكثر ولا اقل!

× ووالده السعيد؟

– الباشا، كان يحذره دائما سيما وانه

سعد صالح

ولده الوحيد وكان يحرص عليه غير ان هفواته ونزواته كانت زادت يوما بعد اخر ولم يتعض ولا التزم حتى بنصائح ابيه وكنت مرات كثيرة اردد مع نفسي (الباشا اللي يحكم العراق كله بما فيهم السياسيين والمارضين تبدو سلطته على ولده الوحيد ضعيفة الى حد ما)!

× وصبيحة ١٤ تموز والنهاية التي لقبها الاب والابن؟

– اتذكرها جيدا فصباح كان مدعوا كعادته الى حفلة امتدت حتى الصباح، صباح ذلك اليوم المشرق الزاهي في تاريخ العراق وعندما عاد الى بيته وهو قريب من الاذاعة التي احتلها الثوار وقادة ثورة ١٤ تموز وسمع بالثورة اقتيد الى الاذاعة وقبل ان يصل اليها قتل على يد احد الضباط بعد ان تهجم على الوضع الجديد اما مصير والده نوري فمعروف ولا حاجة لتكراره!

× وهل شعرت بالاسف لفراقه؟

– لا.. بل توقعت له هذا المصير وما اقترفه من ذنوب ومعاصي لا حصر لها ومع ذلك لا شماته في الميت!

هؤلاء عرفتهم!

× بحكم عملك مع صباح قادك للتعرف على ابيه وعدد من السياسيين ماذا تريد ان تقول في هذا المجال؟

– باستطاعتي قول الكثير.. لاضرب لك مثلا.. نوري (باشا) خرج من داره مرة ليلبي دعوة احد السفراء وعثرنا عليه بالصدفة في بيت السفير وكنا نمشي وراءه فاجتاز جسر الاحرار (مود سابقا) مشيا على الاقدام وكانت الشركة المكلفة بحراسة الجسر تغط في نوم عميق من امامهم دون ان ينتبه اليه احد فحاول احد مدراء الشرطة المكلف بالبحث عنه معاقبة الشرطة لعدم ادائهم التحية له الا ان نوري كرم اقدامهم في الخدمة الذي لم ينل الترفيع.

جعفر العسكري صهر نوري السعيد اعتاد مداعبة زملائه من الوزراء بـ (زياكه) ظلت ترافقه حتى مماته بعد انقلاب بكر صدقي.

المرحوم سعد صالح كان وطنيا ولم تنله اية شائبة.. السيد محمد الصدر نصح جعفر العسكري بعدم الذهاب الى القطعات التي امرها بكر صدقي بالزحف على بغداد لاسقاط الحكومة واحراج الملك غازي فرفض ذلك وادى واجبه ومات مخلصا للنظام وقيمه الموروثة.

× وبصمت الحاج هارون بانتظار اسئلة جديدة لبلف ويدور ينسى خلالها البعض من احداث اذكره بها او يتناسى لكنه يظل يردد عشت اياما حلوة لن انساها ابدا وانا اطل على التسعين!.

جريدة الاتحاد 1986

نوري السعيد

هكذا عرفت محمد حديد

نجيب محيي الدين

مقابلة شخصية مع الباحثة غصون مزهر لاطروحتها لدرجة الماجستير التي حصلت عليها بدرجة جيد جداً في التاريخ الحديث عن شخصية المرحوم الاستاذ محمد حديد للفترة من ١٩٠٨–١٩٥٨.

× ما الاسم الكامل؟

– نجيب محي الدين (نقيب المعلمين سابقا/ مدير التعليم الابتدائي بوزارة التربية سابقا) ، ورئيس تحرير جريدة صوت الاهالي.

× متى بدأت المعرفة بالاستاذ محمد حديد وطبيعة هذه المعرفة؟

– عرفت المرحوم الاستاذ محمد حديد عن بعد منذ عام ١٩٤٥ باعتباره احد ابرز مؤسسي الحزب الوطني الديمقراطي واحد ابرز قادته منذ المؤتمر الاولى حيث انتخب عضوا في لجنته المركزية ومكتبه السياسي، وكنت حينذاك طالبا بدار المعلمين العالية.. وقبل ذلك كنت اقرأ واتابع واعجب بما يكتب من مقالات في الشؤون الاقتصادية والمالية وهي تصدر الصفحة الاولى من جريدة (الاهالي) الذائعة الصيت في ذلك الزمن والتي صارت جريدة الحزب الوطني الديمقراطي بعد اجازته في شهر نيسان من عام ١٩٤٥.

وبعد تخرجي من الدار تعرفت عليه شخصيا ثم اخذت معرفتي به تزداد تدريجيا كلما كنت التقيه خلال بعض زياراتي لهيئة تحرير الجريدة التي كان مقرها في نفس بناية الحزب خلال بعض زياراتي للمرحوم الاستاذ الجادرجي في مكتبه بمقر الحزب او في مجالسه الخاصة التي تكون في بيته. وقد اتاحت لي مقالاته ولقاءاته التعرف على ارائه حول كثير من شؤون الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وحين فصلت من الخدمة التعليمية في عام ١٩٥٤، لاسباب سياسية مع من فصل في ذلك العام من اساتذة الجامعة والمدرسين والمعلمين من قبل الوزارة القائمة انذاك (وزارة نوري السعيد الاخيرة) لتمهد بذلك لانضمام العراق الى حلف بغداد الذي كانت ترفضه كل اطراف المعارضة الوطنية، ثم تعييني كيميائيا في شركة استخراج الزيوت النباتية التي كان المرحوم الاستاذ محمد حديد احد مؤسسيها والذي تولى مسؤولية ادارتها منذ تأسيسها وقد امتدت فترة عملي في هذه الشركة لاكثر من اربع سنوات وخلالها لمست وعرفت اي ذهنية وقادة وحية حقا.. ذهنية محمد حديد في اكفأ ادارة عرفها العراق لشركة صناعية عراقية تلتزم بالاسلوب العلمي وتتطور باستمرار وتقدم للمواطنين ما يحتاجون اليه من زيوت ومواد تنظيف بنوعيات جيدة وباسعار مناسبة، فشكلت بذلك ظاهرة من مظاهر البداية لنهضة صناعية عراقية انذاك مرتكزة على اسس علمية واقتصادية سليمة.

× ما مدى قوة العلاقة مع الاستاذ محمد حديد؟

– كانت علاقتي الشخصية به طيبة ومتينة طابعها الود والتقدير والاحترام على الدوام، وكانت تزداد وثوقا مع مرور الايام ولاسيما خلال السنوات التي اعقبت عام ١٩٦٣وحتى وفاته في مطلع شهر اب عام ١٩٩٩، وكنت احرص على زيارته حيثما يكون في بغداد او في خارج العراق حيثما يتيسر لي السفر الى تلك الجهة، وخلال السنوات الثلاث الاخيرة من حياته التي اقام خلالها في احد المصحات قرب لندن بسبب ما كان يعاني من الشيخوخة وامراضها، كنت احرص جدا على زيارته هناك عدة مرات خلال فترة وجودي في تلك المدينة بالاضافة الى الاتصالات التلفونية المتواصلة بيننا.

ولثقته بي فقد كلفني ان اجمع له جميع ما نشرت له جريدة "الاهالي" و"صوت الاهالي" و"صدى الاهالي" و"البيان" من مقالات كتبها بقلمه ويضمنها ايضا خطبه التي القاها في المجلس النيابي عندما كان نائبا في بعض دوراته وقد تعهدت له بذلك وانا مغمور بالفخر والسرور وقد وفقت الى انجاز القسم الاعظم مما تعهدت له به وما زلت ماضيا لاكمال كل ذلك.

وحين فاضت روحه الطاهرة الى رحمة الله تعالى وبلغني النبأ وانتابني الحزن والالم وكنت في ذلك الوقت في بريطانيا واقيم في مدينة بعيدة جدا عن مدينة لندن، فتحركت على اثر ذلك لاشارك في جميع مراسيم تشييع جثمانه من المسجد وحتى مثواه الاخير في المقبرة الاسلامية في لندن، وحضور مجلس الفاتحة المقام على روحه في احدى قاعات المسجد المذكور معبرا عن تقديري له وعن حزني والمي لفقدان هذه الشخصية الوطنية والفكرية المتسامية ذات الخلق الرفيع التي ساظل اكن لها فائق الود والتقدير والاعجاب.

× ما هي درجة المعرفة بنشاط الاستاذ محمد حديد السياسي والوطني؟

– كنت اتابع نشاط المرحوم الاستاذ محمد حديد السياسي والوطني منذ تأسيس الحزب الوطني الديمقراطي وقبل ذلك على صفحات جريدة "الاهالي" حيث كان احد كتابها البارزين ولاسيما مقالاته فيها التي تمس مصالح العراق والبلاد العربية في المجالات الاقتصادية والمالية باسلوب علمي رصين يرقى بها الى مستوى محاضرات او دراسات متميزة، ومثل ذلك كان مستوى خطاباته واسئلته الموجهة للمسؤولين حيثما كان نائبا في المجلس النيابي خلال عدة دورات انتخابية، كان من العناصر المعارضة النشيطة والبارزة لسياسة الحكم الملكي في العراق وشارك في جميع فعالياته بما عرف عنه من دقة في تحليل المواقف واندفاع واخلاص في العمل، لهذا كان يحظى باحترام وثقة وتقدير جميع الفئات السياسية على اختلاف اتجاهاتها وتباين مواقفها.

وليس من السهولة تعداد كل نشاطات الاستاذ محمد حديد السياسية والوطنية، فهي قد بدأت منذ فجر شبابه في اوائل عقد الثلاثينات من القرن الماضي، حيث شارك مع لفيف من الشباب المثقفين التقدميين في ذلك الوقت بتأسيس "جماعة الاهالي" المعروفة باتجاهاتها الفكرية التقدمية الاصلاحية والتي تعتبر من اوائل الجمعيات الفكرية التقدمية ليس في العراق فحسب بل على نطاق الوطن العربي كله، واعتقد ان المطبوعات التي صدرت بشكل مقالات ومذكرات ودراسات تاريخية عن الفكر الديمقراطي الاشتراكي في العراق وعن جماعة "الاهالي" والحزب الوطني الديمقراطي وقائده المرحوم الاستاذ كامل الجادرجي وعن الحزب الوطني التقدمي الذي اسسه المرحوم الاستاذ محمد حديد قد غطت جانبا مما قام به من نشاطات سياسية ووطنية يمكن الرجوع اليها الا ان شخصيته لاتزال في تقديري من الدراسات العلمية الجادة لالقاء اضواء كافية عليها لتمكين الجيل الحاضر والاجيال اللاحقة في بلادنا من التعرف على صفحات مشرقة من تاريخ وطننا اسهم بها ابناء بررة واوفياء لهذا الوطن مثل استاذنا الراحل محمد حديد.

× ما الرأي الخاص بالاستاذ محمد حديد؟

– عُرف الاستاذ محمد حديد بالجد والمثابرة والتنظيم والصدق والنزاهة في القول والعمل، كما عرف بالحب لاصدقائه وزملائه والاهتمام باحوالهم والوفاء لهم. ملتزم غاية الالتزام بالوعود والمواعيد وبقواعد الادب الرفيع والاخلاق السامية في علاقاته مع الاشخاص ومع مختلف الهيئات والاتجاهات الفكرية والسياسية حتى في الحالات التي يختلف معهم، وان جاروا عليه وقسوا، مع اباء عال وترفع كبير وصبر جميل، دون ان يجد الانفعال والاستفزاز او الحقد الى نفسه سبيلا كان رجلا مثقفاً وظل متابعا للثقافة والمعرفة كما ظل متابعا ومتلهفا الى اخبار الوطن واحواله حتى في حالات ضعفه البدني في الاشهر الاخيرة من حياته فلا تفارقه اكتب والمجلات والصحف العربية والاجنبية، فهي على طاولة بجانبه وهو جالس على كرسي المقعدين. انه شخصية وطنية فذة جديرة بالتقدير والانصاف وكما قال عنه احد الكتاب: (.. انه علم جيلين مبادئ الديمقراطية ولأنه – اخيرا – ما ملك من الدنيا سوى شرفه الوطني).

رحلة في ذاكرة (الامانة).. كيف عرفت بغداد سيارات نقل الركاب الحكومية؟

تحقيق جمعة رشيد

في عام ١٨٨٩ – ١٨٩٠ ظهر نوع من العربات الخشبية يجره زوج من الخيول، وقد خصصت لنقل الركاب بين بغداد والكاظمية.. بقيت هذه العربات واسطة النقل الوحيدة في بغداد اضافة الى الدواب. ولم ير سكان بغداد الباصات إلا بداية الثلاثينات، وكانت ابدان هذه الباصات مصنوعة محليا من الخشب، وقد اخذت اعدادها تتزايد يوما بعد يوم، مع تطور حركة العمران التي شملت بعض الضواحي المحيطة ببغداد. ومن الظريف ان احدهم قام بصناعة باص خشبي ذي طابقين سيره في شوارع بغداد فجأة مما اثار دهشة الناس واستغرابهم.

إلا ان هذه الباصات جميعا لم تنجح، وذلك لخطورتها وحشر المسافرين فيها حشرا يفوق استيعابها، والغاية من ذلك تحقيق الربح فقط، ونتيجة للحاجة الملحة سكان بغداد الى وسائط نقل تنقلهم الى اماكن عملهم – جعل الحكومة انذاك تسعى الى توفير وسائط النقل للاهالي

باص الامانة

تشكلت مصلحة نقل الركاب عام ١٩٣٨ لادارة نقل الركاب في العاصمة بواسطة السيارات، والفت اول لجنة لادارتها، ولكنها لم تعقد اي اجتماع لها حتى تاريخ ٤ حزيران ١٩٤٠، وتقرر في تشرين الاول عقد اتفاقية مع احدى الشركات الانكليزية لشراء مائة باص، لكن ونتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية، الغيت الاتفاقية في عام ١٩٤٢. وبذلك جمدت اعمال المصلحة وتاخر تنفيذ المشروع.

وبعد تجميدها نقلت اعمالها الى امانة العاصمة، وتأسست شعبة تتولى مهمة نقل الركاب في العاصمة وقد اشترت الشعبة هذه بعض مخلفات الجيش البريطاني في العراق من اللوريات وركبت لها ابدان خشبية واستعملتها لنقل الركاب. ومنذ ذلك الحين والناس يدعون باصات المصلحة "الامانة" بسبب تبعيتها لامانة العاصمة ومازال الناس يدعونها "الأمانة " الى يومهم هذا.

شارع الرشيد والرقم 2

في عام ١٩٤٢ سيرت امانة العاصمة ٢١ باصا خشبيا في شارع الرشيد واعطي هذا الشارع رقم "٢" وكان هذا الخط منقسما الى ثلاثة مناطق، تبدأ الاولى من باب المعظم وتنتهي في سينما الحمراء سابقا والتي كان موقفها في ساحة الامين حليا – وتبدا المنطقة الثانية من سينما الحمراء وتنتهي عند سينما الزوراء "الشعب حاليا".

اما الثالثة فتبدأ من سينما الزوراء وتنتهي في الباب الشرقي.

اما الاسعار فكانت ١٤ فلسا في الدرجة الاولى والتي كانت مقاعدها مغلفة بالجلد و ١٠ فلوس للدرجة الثانية والتي كانت مقاعدها خشبية غير مغلفة.

استمرت شعبة النقليات في امانة العاصمة بشراء سيارات وشاحنات الجيش البريطاني حتى العام ١٩٤٦ حيث تم توقيع اول عقد لشراء باصات من نوع "كومر" والتي ساعدت على فتح خطوط جديدة وفي العام ١٩٤٧ بلغ عدد الباصات ١١٣ باصا مستعملا و٧ باصات جديدة، و٢٧ باصا عاطلا، وتجمع بين السيارات التي ابدانها من خشب وكذلك الجديدة. مما دعا الى تشكيل مديرية مصلحة نقل الركاب مرة ثانية ولكنها بقيت مرتبطة بامانة

في عام 1942 سيرت امانة العاصمة 21 باصا خشبيا في شارع الرشيد واعطي هذا الشارع رقم "2" وكان هذا الخط منقسما الى ثلاثة مناطق، تبدأ الاولى من باب المعظم وتنتهي في سينما الحمراء سابقا والي كان موقفا في ساحة الامين حليا – وتبدا المنطقة الثانية من سينما الحمراء وتنتهي عند سينما الزوراء "الشعب حاليا".

اما الثالثة فتبدأ من سينما الزوراء وتنتهي في الباب الشرقي.

اما الاسعار فكانت 14 فلسا في الدرجة الاولى والتي كانت مقاعدها مغلفة بالجلد و10 فلوس للدرجة الثانية والتي كانت مقاعدها خشبية غير مغلفة.

العاصمة ويرأسها امين العاصمة، وبما ان امين العاصمة لا يستطيع التفرغ لاعمال هذه المصلحة، لم تتمكن من التقدم بحيث تؤمن الحاجة المطلوبة، لذلك كثرت الشكاوى حول عجزها، ففكر المسؤولون باعادة النظر فيها وفك ارتباطها من امانة العاصمة.. وارتبطت بوزارة الداخلية، ثم فك ارتباطها من امانة العاصمة، ولكنها هذا المرة ارتبطت بوزارة الداخلية على شكل مديرية عامة، اما الناس فقد بقوا يدعون الباصات "الامانة" ولم يسموها "داخلية"!!

اواخر العام ١٩٥١ وصلت صفقة مكونة من (١٠٠) باص ذات طابق واحد واخذت تعمل في شوارع بغداد. وفي ١٨ /١٩٥٣/٢ فتحت اول دورة للتدريب على السياقة، وفي العام نفسه وصلت صفقة ايضا مكونة من ١٠٠ باص اخر ذي طابق واحد.. وفي العام ١٩٥٤ اضيف باص واحد فقط كان قد عرض في المعرض التجاري البريطاني وتم شراؤه من المعرض.. وبوصول الوجبة الثالثة من الباصات والمكونة من ٢٠ باصا من ذات الطابقين في العام ١٩٥٣، قررت المصلحة اعتبار باصات "كومر" المشتراة في العام ١٩٤٦ – ١٩٤٧ بحكم المنقرضة وتم سحبها من العمل.

وقد وصلت بغداد في العام ١٩٥٦ مائة باص جديد، مما دعا المصلحة الى فتح مدرسة لتعليم السياقة تخرج منها في السنة نفسها ٢٥ سائقاً.

اللقط والمفقودات

كان من ضمن انظمة المصلحة المعمول بها انذاك هو نظام اللقط. وهو عند العثور على اللقط والمفقودات كانت تعلن في الصحف، وذلك خلال اسبوع من تاريخ العثور عليها في سياراتها.

واذا لم يطالب بها احد خلال شهر واحد بعد الاعلان تباع بواسطة لجنة تضم عضوا او اكثر من اعضاء هيئة الادارة حسبما يقرره المدير العام، ويسجل ثمنها ايرادا نهائيا للمصلحة.

ايكاروس وليلاند ووزارة البلديات

بقيت المصلحة تابعة لوزارة الداخلية حتى عام ١٩٥٩ اذ تم فك ارتباطها من الداخلية، وتم تحويلها الى وزارة البلديات. في العام ١٩٦٠ استطاع مهندسو وعمال المصلحة من انتاج باصين اطلق عليهما اسم "بغداد".

ثم استلمت المصلحة ١٠٠ باص اخر حتى العام ١٩٦٢ اذ وصل ٨٠ باصا بطابقين، ثم دخلت باصات نصر من جمهورية مصر العربية وعمل في شوارع بغداد ٦٧ باصا من هذا النوع. وفي شهر شباط ١٩٦٩ صدر نظام مصلحة نقل الركاب في بغداد، وثم دخول الايكاروس عام ١٩٧١، وبرتش لايلند عام ١٩٧٦.

الجابي رقم 295

جواد مهدي علي مدير السيرو التفتيش في المنشأة العامة لنقل الركاب. كان قد عين جابيا في العام ١٩٥٢ وان الاسم الرسمي له انذاك بائع تذاكر. انه يتذكر تاريخ تعيينه في ١٩٥٢/٥/٢٠.

اما عن كيفية عمله فيقول انه كان طالبا في متوسطة الخدمة الوطنية "موقعها فوق سينما ريجنت في راس جسر الاحرار في الصالحية". وانه ان انذاك في الصف الثاني المتوسط ويرى سيارات المصلحة تمر من الشارع ففكر في العمل وكان تعيينه براتب قدره ٦ دنانير تعطى لاهله منه ٣ دنانير وله الباقي يوفر منها دينارا واحدا شهريا، وكان يحمل بائع تذاكر "جابي" رقم ٢٩٥.

وقد تزوج في العام ١٩٦٣ وكان راتبه انذاك ١٨ دينارا وهو يتذكر "الكاري".

البلامة والطلاب

من الطرف التي تذكر عدد تسيير باصات المصلحة في شوارع بغداد، وعندما سير اول باص بين الجعيفر وباب المعظم، اصبح اصحاب القوارب "البلامة" الذين كانوا يعبرون الركاب بين الكرخ والرصافة دون جدوى مما جعلهم يعتدون على السواق والجباة لكن ذلك لم يجد نفعا مما جعلهم يبتكرون طريقة لتاخير الباص وهي انهم عندما يرون الناس يركبون الباص يقدمون السمك المشوي للسائق والجابي مما يسبب تاخيرهم فيضجر الناس ويتجهون الى القوارب.

اما طلبة دار المعلمين العالية فكانوا لا يدفعون اجور النقل، فيقومون بالاستيلاء على "سدارة" الجابي ويرمونها من الامام الى الخلف وبالعكس وهكذا يحدث الهرج والمرج الى ان يصلوا الدار "كلية التربية حاليا" بدون دفع اي اجور.

عزرائيل في المصلحة

كان السواق والجباة يخافون المفتش، لانه يعاقب بقطع الراتب لاتفه الاسباب، وكانت العقوبات تصل الى قطع مبلغ "ربع دينار"؟ من الراتب وهذا يعتبر مبلغا عاليا، واذا تاخر الباس ٥ دقائق تصل العقوبة الى نصف دينار. وقد وصلت في احد الايام الى دينار عوقب بها الجابي لعيبي حميد في العام ١٩٥١ عندما اخذ طول القماش "الفلم" الذي كانت الارقام تكتب عليه، وبدور ليظهر الرقم المثبت للخط، لان زوجته كانت بحاجة الى دشداشة فوجد ان طول القماش قد استبدل بواحد جديد، فاخذ القديم وخاطته زوجته بدشداشة لها، وصادف ان المفتش جاء الى دار لعيبي فوجد زوجته ترتدي دشداشة ولكن عليها ارقام فعرف من ذلك انها من المصلحة وفرض العقوبة وقدرها دينارا واحدا فكانت كارثة كبرى لانها دينار.. "خوش ضيف".

مجلة العاصمة 1964

احدى باصات نقل الركاب ويظهر السائق ومساعده يقفان ع

اواخر العام 1951 وصلت صفقة مكونة من (100) باص ذات طابق واحد واخذت تعمل في شوارع بغداد. وفي 18 /1953/2 فتحت اول دورة للتدريب على السياقة، وفي العام نفسه وصلت صفقة ايضا مكونة من 100 باص اخر ذي طابق واحد.. وفي العام 1954 اضيف باص واحد فقط كان قد عرض في المعرض التجاري البريطاني وتم شراؤه من المعرض.. ويوصل الوجبة الثالثة من الباصات والمكونة من 20 باصا من ذات الطابقين في العام 1953، قررت المصلحة اعتبار باصات "كومر" المشتراة في العام 1946 – 1947 بحكم المنقرضة وتم سحبها من العمل.

يحتفل المسيحيون هذه الايام بعيد الفصح المجيد.. هذه الصور تحية وذكرى عطرة لمكون اساسي من مكونات الشعب العراقي

مسيحيو العراق... سلام ووئام

عبود الشالجي .. صورة تاريخية

رفعة عبد الرزاق محمد

اذا ذكر عالم التحقيق التراثي في العراق، ذكرت اسماء عديدة، جديرة بالتنويه والتقدير، لم تسلط عليها الاضواء الا قليل. ومن هؤلاء المرحوم عبود الشالجي، المحقق الثبت والمؤلف الكبير والمترجم الدقيق. وفي السطور التالية نطل على حياة الشالجي واثاره منتهزين الفرصة لتذكير من يعنيهم امر الفكر العراقي وتراثه بامر اعماله المخطوطة.. وهي حرية بالنشر والذيوع.

حياته:

هو عبود بن مهدي بن محمد بن احمد الشالجي، نسبة الى مدينة "شلج" احدى مدن منطقة الدجيل.. اذ كان اجداده من المزارعين هناك، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان: شلج بكسر اوله وسكون ثانيه، قرية قرب عكبرا، وهي مع شاطئ دجلة. ويذكر الشالجي في بعض اوراقه ان الماء انقطع من الدجيل فجلا اهلها الى انحاء مختلفة فاقام بعضهم في الكاظمية، وبعضهم في الاعظمية، وبعضهم في اماكن متفرقة من بغداد، اما اسرته فقد تديرت محلة (عمار سبع ابكار) من محلات الجانب الشرقي من بغداد، وعملت في مهن صناعية وتجارية عديدة.

ولد الاستاذ عبود الشالجي في بغداد يوم الخميس الاول من ربيع الاول سنة ١٣٢٩هـ الموافق للثاني من آذار سنة ١٩١١، بدأ تحصيله في كتاب المحلة ثم المدرسة الابتدائية والمتوسطة في المدرسة الجعفرية، وهي من المدارس الاهلية المرموقة ببغداد يومذاك. ومن اساتذته الذين انتفع بهم في هذه المدرسة المرحوم صادق الملائلة، التربوي والاديب القدير. ثم دخل المدرسة الثانوية (المركزية)، فوجد عالما رحبا من العلم والثقافة الحديثة وهو يذكر بالخير عددا من اساتذته الاجلاء مثل المرحوم طه الراوي الذي زامله يعد في مجلس النواب حين عين الشالجي كاتبا فيه. وكان الراوي قد شغل وظيفة سكرتير مجلس الاعيان، ومن محاسن الايام ان يكون زميله في الوظيفة نفسها اد الادباء الشبان، هو المرحوم مصطفى علي.

وكان الاستاذ الشالجي قد دخل كلية الحقوق بغداد في السنة الدراسية ١٩٢٦- ١٩٢٧ وتخرج فيها سنة ١٩٢٩ – ١٩٣٠ وهو لم يزل موظفا في مجلس النواب، وقد ذكر الشالجي انه كان من الكتاب الذين دونوا خطبة المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء، التي انتحر على اثرها مساء الثالث عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩، وبعد تخرجه عين بوظيفة (كاتب ضبط) في المحاكم المدنية وله فيها ذكريات جميلة ومهمة، ومنها قضية المكاتيب السرية التي اقضت مضاجع الحركة السياسية في العراق في اوائل الثلاثينات واتهم بها المرحوم مزاحم الباجه جي وثلة من اصدقائه.

وفي سنة ١٩٣٣ عين حاكماً في المحكمة المدنية وتنقل في انحاء مختلفة من مدن عراقنا العزيز حتى استقالته سنة ١٩٤٠ اثر خلاف وقع بينه وبين وزير العدل فأثر الانصراف الى المحاماة واصبح من المحامين الاكفاء الذين شهدت ساحات القضاء مواقف مشهودة له، وفي سنة ١٩٦٩ احال نفسه الى التقاعد واستقال من نقابة المحامين وانتقل الى لبنان طلبا للراحه والاستجمام والتفرغ التام للقراءة والبحث والتحقيق. وبعد اندلاع الحرب الاهلية في لبنان ارتحل الى (ليماسول) في قبرص ثم استقر في لندن حتى وفاته فيها يوم الاحد الرابع عشر من نيسان ١٩٩٦م.

وكان الاستاذ عبود الشالجي قد انخرط في بعض النشاط السياسي، فقد كان احد اعضاء الهيئة الادارية المؤسسة للحزب الوطني الديمقراطي سنة ١٩٤٦ثم اثر الاستقالة من الحزب مع اعضاء اخرين احتجاجا على ما سموه بالتغلغل اليساري ونفوذه في الحزب.

اثاره:

عكف الشالجي على التاليف والتحقيق بعد تقاعده عن المحاماة وانتقاله الى لبنان، وقد وجد متسعا من الوقت لاخراج تلك السلسلة الذهبية من الكتب النادرة، سواء من مؤلفاته او من تحقيقاته. فاثاره المطبوعة هي:

١- الكنايات العامية البغدادية (بيروت ١٩٧٩)

٢- موسوعة الكنايات العامية البغدادية ط١-٣ (بيروت)

٣- موسوعة العذاب ج١ – ٧ (بيروت).

٤- الرسالة البغدادية ، ابو حيان التوحيدي (بيروت ١٩٨٠) تحقيق.

٥- الفرج بعد الشدة، القاضي ابو علي التفوخي (بيروت) تحقيق في خمسة اجزاء.

٦- نشوء المحاظرة واخبار المذاكرة للتنوخي (بيروت) تحقيق في ثمانية اجزاء.

الشالجي

وله بعض المقالات القيمة، نشرها في اماكن مختلفة وهي:

- الرواتب في الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٦ لسنة ١٩٧٥

- ملاحظات على كتاب البصائر والنضائر للتوحيدي، مجلة (البلاغ) البغدادية في ثلاث حلقات في الاعداد الثالث لسنة ١٩٧٧ السادس لسنة ١٩٧٨ التاسع لسنة ١٩٧٩.

- مقدمة ديوان الحاج عبد الحسين الازري (بيروت ١٩٨٠).

اما اثاره المخطوطة، فنذكر اولا ان قسما منها صارت عرضة للحرق في الحرب اللبنانية الاهلية سنة ١٩٧٥ (معارك بحمدون) بعد ان اعدت للطبع.

١- الرواتب في الاسلام.

٢- المائدة في الاسلام

٣- الاثمان في الاسلام ط١-٢

٤- الصداق في الاسلام

٥- تطور الطب والجراحة في الاسلام

٦- الالعاب في الاسلام

٧- الخبر بين صاحب الخبر وصاحب البريد.

٨- الطرائف ١-٣

٩- اخر ما قالوا

١٠- كيف ماتوا

١١- الامثال والكنايات في شعر ابن الحجاج.

١٢- عربستان او بلاد الف ليلة وليلة. رحلة للامريكي بيري فوك. ترجمة واعده للنشر سنة ١٩٥٩ وقد طبع على الالة الكاتبة. نشر الفصل التاسع عشر والفصل الخامس والعشرين منه في مجلة (سومر) العدد ١-٢ (١٩٦٠) .

١٣- رحلة الى اور وسوسيان لوفتس ترجمة اعدها للنشر سنة ١٩٦١ وطبعت على الالة الكاتبة.

طرائفه:

ذكر الاستاذ حسين الكرخي في مخطوطته "ظرفاء بغداد" شئيا من ظرف المرحوم عبود الشالجي مقال:

وهو كأي بغدادي اصيل ظريف، والظرف طبع فيه لا يفتعله ولا يتكلفه وكان مجلسه في مكتبه ببغداد ملتقى الوجوه البغدادية من اهل الادب والعلم والسياسة والظرافة وله مداعبات ونوادر اخوانية كثيرة امتثل بباقة ندية منها هنا.

حين كان قاضيا في مجلة اراد صاحب دعوى التزلف اليه فقد وقر الى ذهنه ان امرا صدر بترقية في حين انه امر نقله الى الموصل، فطير له برقية تهنئة فاجابه الشالجي بالبيتين الساخرين:

الحمد لله على ما حبا
اوشكت الغمة ان تنجلي
درهمكم قد ضاع منكم سدى
فقد تحولت الى (الموصل)
والدرهم كما هو معلوم اجرة ارسال البرقية.

وعندما كان المرحومان يونس السبعاوي وعبد الهادي الظاهر يعملان في مكتب محاماة مشترك، وعند حلول احد الاعياد داعبها الشالجي ببيتين شعر ارسلهما الى صديقه الظاهر، وهما:

كل عيد وانت في خارج الحكم
معنى بباطلات الدعاوي
يئس الناس من نجاح دعاو
انت فيها ويونس السبعاويّ

الفأل والعرافة في الحضارة العراقية القديمة

مروان نجاح البلام

أن رغبة الإنسان في معرفة ما سيحدث كانت وما زالت أمر شغل عقول الناس ، ولم يشذ عنهم الإنسان العراقي القديم، بل ربما فاقوا الحضارات الأخرى في أمور التنبؤ بالغيب، وكان اعتقادهم إن ما يحدث في هذا العالم أنما هو مقدر من قبل الإلهة فلو عرف الإنسان أرادة الإلهة لا ستطاع إن يقف على نتيجة أعماله.

وقد اعتقدوا إن معرفة أرادة الإلهة أمر ممكن لطبقة خاصة من الناس تستطيع إن تقف على مشيئة الإلهة في الظواهر الطبيعية والسماوية وفي حركات الأجرام السماوية وفي الرؤى والأحلام وفي المخلوقات الشاذة وفي العلامات التي تظهر على كبد الحيوان.

وقد قسمت ظاهرة العرافة إلى قسمين في مفهومهم : الأول يتضمن الأشياء التي يتقصد حدوثها العارفون مثل فحص كبد الحيوان وخلط الماء بالزيت ومثل الأزلام عند عرب الجاهلية وهذه تعرف بالعرافة المقصودة ، أما الصنف الثاني فتتدخل فيه ظواهر تحدث ولا دخل للإنسان بحدوثها وإنما يشاهدها ويفهم مغزاها مما يتعلق بإرادة الإلهة، مثل مشاهدة الكواكب ورصدها أو ما يعرف بعلم التنجيم ومنها أيضا الزلازل والخسوف والكسوف وغيرها من الخوارق غير المفهومة بالنسبة لهم، واللافت للنظر ان الكهنة قد قسموا كلا حسب اختصاصه بالنسبة للعرافة المقصودة أو غير المقصودة ، ولم يكن هناك تداخل بينهما من حيث ممارسة الاختصاص بالتنبؤ أو العرافة.

ومن أمثلة العرافة المقصودة ما يعرف بفحص الكبد ، وهي طريقة انتشرت من العراق القديم إلى الأمم المجاورة مثل اليونان والرومان وغيرهم، وكان أساس هذه الطريقة من العرافة أنهم كانوا يرون وجود علاقة بين الإله الذي يقرب إليه الحيوان المضحى والحيوان نفسه، إذ عندما يضحى بالحيوان ويقدم إلى الإله فانه يكون جزءا من الإله نفسه كما يكون جزءا من أجسام الناس الذين يأكلونه ، فيكون روح الإله أو نفسه نفس الذبيحة أو روحها أو أن روح الحيوان تتمثل بروح الإله

ومن خلال ذلك يمكن للبشر أن يتطلعوا إلى روح الإله ومن ثم معرفة أرادته بدرس روح الذبيحة.

واعتقد العراقيون القدماء أن روح الإله في الحيوان تكمن في كبده؟ وذلك لان اعتقاد الإنسان العراقي القديم أن الكبد هو مستودع الدم والحياة (لان الكبد يحتوي على سدس كمية الدم التي في الجسم) ، وهكذا يمكن معرفة أرادة الإله من فحص كبد الحيوان المقرب وفحص ما يظهر فيه من علامات وإمارات تعبر عن مشيئة الإله .والعرافون لم يحصلوا على هذا الفن ألا بإرادة الآلهة وبعد رياضة وممارسة حسب قواعدهم ، وقد خلف لنا العرافون القدامى مئات الألواح من الطين التي صورا فيها الكبد وأسماءه والأجزاء التي يتكون منها والتعاليم والإشادات في كيفية ملاحظة هذه الأجزاء والإمارات التي تظهر فيه والتنبوء منها.

وقد استعملت عرافة الكبد الكثير من ملوك العراق وذلك قبل البدء بإعمالهم الحربية وذلك عن طريق اجزاء الكبد أسماء مختلفة متخيلة لمشابهتها الأشياء التي سميت بها مثل الإصبع والفم والطريق والقصر والباب وغيرها، إما انتخاب الذبيحة الصالحة فيتم من قبل العرافين (والكاهن الذي يختص بهذا العمل عرف باسم الكاهن البارو أو كهنة البارو)، ويتم ذلك بان يتقدم كاهن البارو إمام صنم الإله ومعه موقد منضدة والخبز ومزيج من الزيت والعسل والملح ثم يأخذ العراف بيد السائل المقرب ويتلو بعض الادعية في مخاطبة الإله والاستئذان منه في تقريب الذبيحة إليه،ثم تنحر الذبيحة ويخصص للإله أحسن أجزائها ويفحص العراف الكبد ويشاهد أجزاءه وما يظهر عليه من علامات كالفقاقيع والخطوط والتشققات ووضع القنوات التي تربط المرارة الصفراء ، وفي الكبد علامات صالحة وعلامات غير صالحة وقد تربو العلامات الصالحة على غير الصالحة فتكون هي المعتبرة ، إما إذا تساوت العلامات فتعاد العرافة بفحص كبد ثان وثالث.

أهم المكتبات العامة التي أنشأت في نهاية العهد العثماني وقيام الدولة العراقية في مطلع القرن الماضي ببغداد

زين النقشبندي

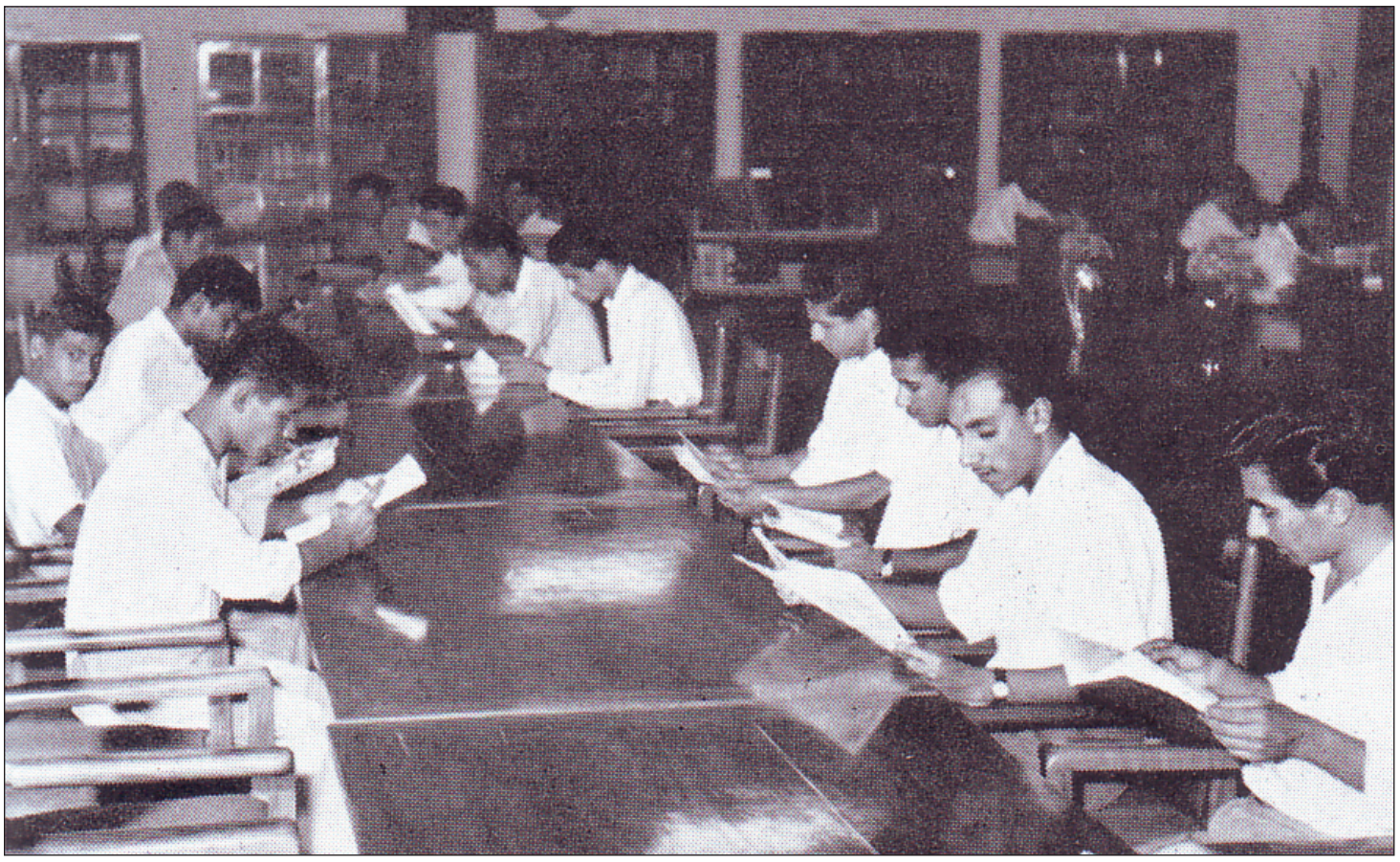

لعل أشد ما عني به المسلمين خلال تاريخهم الحافل وانشاء مخازن الكتب وابتكار سبل حفظها وتجليدها وتعيين الحفظة عليها وتشجيع الطلبة والنساخ على تكثير نسخها وتخصيص الموارد المالية الكافية للانفاق على ذلك كله من أوقاف يوقفونها لهذا الغرض، وكان من ثمرات هذه الجهود أن ازدانت هذه المدن الإسلامية بعدد كبير من خزائن الكتب التي تحتوي على كل ما هو نادر ونفيس من خلاصة الفكر العربي الإسلامي.

1. الخزانة النعمانية

أسس هذه المكتبة العلامة أبي البركات نعمان خير الدين (المولود سنة ١٢٥٢هـ، والمتوفى سنة ١٣١٧هـ) نجل المفسر المفتي ببغداد دار السلام السيد الإمام أبي الثناء محمود الآلوسي البغدادي، حيث أوقف هذه الخزانة على مدرسة الجامع، لطلاب العلم وذلك سنة ١٣٠٤هـ، ثم أعاد وقفها ثانية سنة ١٣٠٧هـ وسجلها في سجل الأوقاف وحبس لها الوقوف، وكانت تقع هذه المكتبة في جامع المدرسة المرجانية (نسبة إلى بانيها الخواجة أمين الدين بن مرجان، وهو من موالي السلطان أويس ابن الشيخ حسين الأيلخاني أحد أمراء التتر الذين سيطروا على بغداد)، وتعد بحق من أنفس وأغنى خزائن الكتب العربية، وكانت تضم الكثير من نفائس المخطوطات وفرائدها ونوادر المطبوعات، في شتى العلوم، ويقع فهرست هذه الخزانة في (٣٣صفحة)، وتشمل على (الكتب الالهية، التفسير، القراءات، الحديث، العقائد، أصول فقه الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، التصوف، أدب البحث، الوضع والاشتقاق والنحو والصرف، التاريخ ونحوه واللغة وما يتعلق بها، والحساب والفلك، فقه الشيعة وغيرها)، وتضم هذه الخزانة ثلاث مجاميع:

أ. المجموعة الأولى: تضم ١٣٣٧ كتاب للسيد نعمان خير الدين (في حين يذكر الدكتور عبد الله الجبوري بأن عدد كتب الخزانة (١٤٠٠) كتاب مضافاً إليها الكتب التي سربت في بعض الخزائن الخاصة منها خزانة عباس العزاوي، وللمزيد راجع كتاب تاريخ مكتبة الأوقاف العامة، تأليف عبد الله الجبوري) .

ب.المجموعة الثانية: تضم ٨٩٢ كتاب.

المجموعة الثالثة: تضم ٨٤٢ كتاب.

وقد ضمت خزانة هذه المكتبة إلى مكتبة الأوقاف العامة عام ١٩٢٨، وقد أحسن الدكتور عماد عبد السلام رؤوف بنشر (تحقيق) فهرسة هذه المكتبة، "أول فهرست لمكتبة خطية"، وهي المكتبة المذكورة آنفا (نشر هذا الكتاب ضمن منشورات مركز احياء التراث العلمي، جامعة بغداد.).

2. دار الكتب العمومية

مركز هذه الدار في مدرسة جامع الحيدرخانة حيث كان يلتئم الشعب قديماً في الحوادث السياسية الهامة (للتفصيل راجع كتاب رحلة الى العراق: للأمير مصطفى الشهابي (مجلة دمشق: مجلد ٢، سنة ١٩٤١، ص٢١٨، وكتاب خزائن الكتب في الخافقين)، أسسها العلامة الوالي داود باشا (١٧٧٤-١٨٥١) وكان من أهل المعرفة ومن دعاة الأدب ومروجي بضاعته (تراجم مشاهير الشرق: تأليف جرجي زيدان، ج٢، ص٢٥٠) ، لكن هذه المكتبة لم تفتح أبوابها للقراء عامة إلا سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٦م) في عهد الوزير العثماني مصطفى عاصم باشا، وكان ذلك بسعي السيد محمد آل الجميل مدير معارف ولاية بغداد، فإنه جمع لديه علماء الزوراء وأعيانها حاثاً إياهم على معاضدة الحكومة لإنشاء خزانة كتب عمومية تكون في جامع الحيدرخانة، وطلب منهم أن يتحفوها بما لديهم من مخطوطات نادرة وتآليف مفيدة (مقالة الأب أنستاس الكرملي في المشرق، مجلد ٣، سنة ١٩٠٠، ص٥٩٢) تضاف الى الثروة العلمية التي أوجدها داود باشا في الجامع المشار اليه(للمزيد راجع ص٤٠ من كتاب تنزيه العباد في مدينة بغداد، تأليف نابليون الماريني، بيروت، ١٨٨٧، المطبعة اللبنانية) .

أفتتح المعهد العلمي في أواخر عام 1921، وقد أسسه جماعة من مثقفي بغداد، وكانت تقع بنايته في قبالة جامع الحيدرخانة (فندق أربيل حالياً)، وقد أنشأت هذه المكتبة العامة كواجهة علنية للنادي، وكانت تصل إليها الصحف في حينه، وكانت القراءة مباحة للجميع فيها، وكان المرحوم ثابت عبد نور المعروف بثقافته الواسعة مديراً لهذه المكتبة، وقد أغلقت هذه المكتبة نهاية العشرينات عند اغلاق هذا المعهد، ولعل من المفيد ذكره إن هذا المعهد أقام أول مهرجان أدبي ببغداد (سوق عكاظ) يوم الأحد 14 شباط 1922.

وللحاج علي ابن السيد نعمان الآلوسي قصيدة نظمها يوم افتتاح هذه المكتبة قال في مطلعها:

يا حبذا مكتبة قد جمعت
يعم أرباب العلوم نفعها
كأنها للطالبين مورد
أنعم بها من نعمة قد عُرفت
للعلم فيها كتب لطائف
فكل طالب عليها عاكف
فكل راو من نداها غارف
الطف وَّالينا بها عوارف

ثم اختتمها مؤرخاً:

محمد نجل الجميل من له
قد أسست بعزمه فاستأنست
تباشر الناس بها وأرخوا
ج صنع الجميل تالد وطارف
لها الورى واستيأس المخالف

مكتبة جددها المعارف

١٣٠١هـ

وفي هذه المكتبة مخطوطات (محفوظة حالياً في خزانة مكتبة وزارة الأوقاف) وافرة بينها بعض كتب عزيزة الوجود، وفي السنة ١٨٩٥ أنتسخ شيئاً منها الأب لويس شيخو برسم المكتبة الشرقية ببيروت (سياحة من بيروت إلى الهند (مجلة المشرق: المجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ١٥٠).) ، وتحتوي المكتبة كتاب (المقامات النصرانية) لأبي العباس يحيى بن سعيد بن ماري (ت١١٩٣م) الطبيب النسطوري، وهي نسخة فريدة نادرة من عهد مؤلفها أهداها إلى هذه المكتبة فتح الله عبود من أعيان النصاري في العراق(نشر كتاب المقامات المسيحية والنصرانية لأبن ماري الطبيب في بغداد، سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م من قبل الأديب الشاعر عبد الرزاق الهاشمي) ، ولهذه المقامات نسخة ثانية مرسومة بالرقم ٣٨٤ في مكتبة فينا عاصمة النمسا، لكنها تختلف اختلافاً عظيماً عن نسخة بغداد لا في عدد المقامات وأسمائها وترتيبها فقط بل في الإنشاء أيضاً.

3. المكتبة العامة

تتألف هذه المكتبة العامة من ثلاث مكتبات وهي: مكتبة (السلام) التي أنشأتها(المس بل) المستشرقة الإنكليزية الشهيرة بعد الاحتلال البريطاني في العراق، ومكتبة (جمعية الشبيبة المسيحية) ومكتبة (المعارف)، وقد توحدت هذه المكتبات عام ١٩٢٩ بأمر فيصل الأوّل ملك العراق الذي جعلها المكتبة الرسمية في عاصمة مملكته، فأصبحت تعرف بعد اندماجها باسم (المكتبة العامة) وكانت تحتوي على نحو خمسة عشر ألف مجلد مطبوع ، (هذه الإحصائية قديمة تعود إلى سنة ١٩٤٧م، للمزيد راجع صفحة ١١١ من كتاب خزائن الكتب في الخافقين، المجلد الأول.) نصفها عربي ونصفها الآخر في لغات شتى، في هذه المكتبة أيضاً طائفة صالحة من المخطوطات لم نتوفق

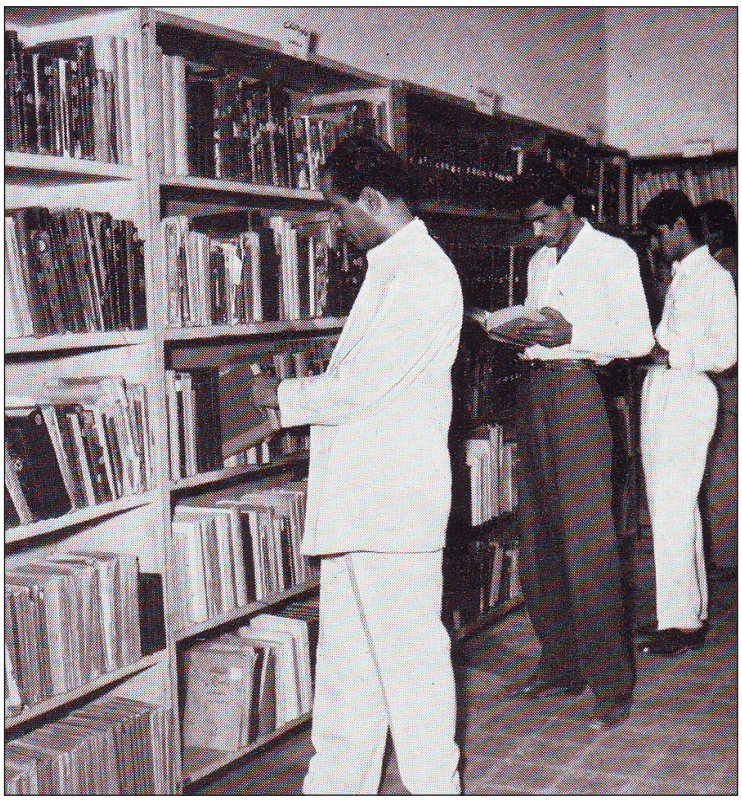

إلى الوقوف على فهرسها.
وكانت وزارة المعارف العراقية في حينه قد سعت لتعزيز دور الكتب في جميع أنحاء المملكة فأخذت تكتب إلى سفرائها وقناصلها وإلى البعثات العلمية العراقية في أوربا تستحثهم للحصول على ما تيسر من المخطوطات العربية أو على صورها الفوتوغرافية ،(جريدة (البشير) البيروتية: مجلد ٦٩ عدد ٥٦٢٠ في ٤ تشرين الأول ١٩٣٨.) وكان للشيخ محمد رضا الشبيبي وزير المعارف فضل لا ينسى على دور الكتب في العراق، فإنه نهض يبحث وينقب عن كل مخطوطة نفيسة نادرة ولا سيما عما وضعه المؤلفون العراقيون من الكتب وهي مكنوزة في خزائن أوربا والأمصار الشرقية، وقرر وجوب استنساخها أو تصويرها ليضمها إلى (المكتبة العامة) وإلى سائر دور الكتب في بغداد وحواضر العراق، ذلك تسهيلاً لمهمة الدارسين والباحثين والمؤرخين، وإلى هذا الوزير يرجع الفضل في تنظيم (المكتبة العامة) المشار إليها وتنسيق فهارسها تنسيقاً فنياً أسوة بدور الكتب الراقية في الشرق والغرب. (مجلة (المؤرخ) الصادرة في بغداد لرزوق عيسى: مجلد ٢ سنة ١٩٣٨ صفحة ٦٨-٦٩)

4. مكتبة الأوقاف العامة

أسست هذه المكتبة بسعي الشيخ احمد الداود يوم أسندت إليه وزارة الأوقاف في العراق، وتمتد جذور فكرة إنشاء هذه المكتبة إلى سنة ١٩٢٢ حينما كان عبد اللطيف المنديل وزيراً للأوقاف في وزارة عبد المحسن السعدون الأولى، وأيده في فكرته مدير أوقاف بغداد في حينه الأستاذ عبد اللطيف ثنيان، فبذل الداود جهوداً صادقة ولقي مقاومة عنيفة لما شرع بجمع الأسفار المبعثرة في مكتبات جوامع بغداد، ونهج في ذلك نهج ناظر المعارف المصرية علي باشا مبارك الذي جمع في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) كل ما كان مخزوناً من المخطوطات في مساجد مصر وجعلها دعامة لدار الكتب المصرية، هكذا ظفر الشيخ احمد الداود بضالته فأنشأ مكتبة الأوقاف العامة التي جرى افتتاحها مساء يوم الجمعة الموافق ١١ صفر سنة ١٣٤٧هـ/ ٢٧ تموز ١٩٢٨م في البناية التي شيدت في محلة باب الأغا (للمزيد راجع ص١٣ من كتاب مكتبة الأوقاف العامة (تاريخها ونوادر مخطوطاتها) تأليف عبد الله الجبوري، بغداد، ١٩٦٩) ، وضم إليها نفائس الكتب العربية حتى بلغ اليوم عدد مجلداتها المطبوعة زهاء خمسة آلاف وخمسمائة، إما مخطوطاتها (للمزيد راجع كتاب فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة، تأليف الدكتور عبد الله الجبوري) فهي ثلاثة آلاف وسبعة وسبعون مجلداً بينها ما هو فريد ونادر في عالم المخطوطات (هذه الأرقام تعود إلى سنة ١٩٤٧ كما ذكرنا سابقاً.).

٥. مكتبة المعهد العلمي

أفتتح المعهد العلمي في أواخر عام ١٩٢١، وقد أسسه جماعة من مثقفي بغداد، وكانت تقع بنايته في قبالة جامع الحيدرخانة (فندق أربيل حالياً)، وقد أنشأت هذه المكتبة العامة كواجهة علنية للنادي، وكانت تصل إليها الصحف في حينه، وكانت القراءة مباحة للجميع فيها، وكان المرحوم ثابت عبد نور المعروف بثقافته الواسعة مديراً لهذه المكتبة، وقد أغلقت هذه المكتبة نهاية العشرينات عند اغلاق هذا المعهد، ولعل من المفيد ذكره إن هذا المعهد أقام أول مهرجان أدبي ببغداد (سوق عكاظ) يوم الأحد ١٤ شباط ١٩٢٢، وحضره الملك فيصل بنفسه، وقد شهد المهرجان حادثة مثيرة في حينه، إذ صعدت فتاة في مقتبل العمر على بعير وألقت قصيدة للخنساء مما أثار المجتمع التقليدي ببغداد، خاصة إذا علمنا أنها ابنة الشيخ أحمد الداود وزير أوقاف بغداد، وكان عمرها ثمان سنوات فتم إلقاء عباءة نسائية عليها لتدارك الموقف، ثم قام الشاعر جميل صدقي الزهاوي وألقى قصيدة (عش هكذا في علو أيها العلم فإننا بك بعد الله نعتصم) وقد رفع علم الثورة العربية إذ لم يكن هناك علم للعراق في حينه، لأن العلم العراقي استحدث عام ١٩٢٤.

٦. مكتبة السلام العامة

افتتحت في بغداد يوم ٢٦ رجب ١٣٣٨هـ الموافق ١٦ نيسان ١٩٢٠م، وكانت الجهود قد بذلت لتأسيسها منذ أواخر تشرين الأول ١٩١٩، إذا اجتمع نحو عشرين من وجوه المجتمع البغدادي لهذا الأمر، وكان السادة: عارف السويدي ويوسف غنيمة وكاظم الدجيلي على رأس هؤلاء، وقد واجهت جهودهم العديد من المشاكل التي نجحوا في تذليلها، ولعل من الطرف ذكره أن حديقة كنيسة اللاتين (في الشورجة)، كانت الموقع الأول لهذه المكتبة، فقد استأجرت لجنة المكتبة هذه الحديقة لمدة ستة أشهر، ريثما يتم تشييد بناية المكتبة مقابل جامع الخلفاء حالياً)، وبدأت عملية جمع الكتب من المتبرعين، أو عن طريق الشراء، وكان عدد الكتب التي جمعت عند افتتاح المكتبة (٧٣٦) كتاباً، وإن نصف مجموع هذه الكتب تبرع بها الحاج عبد الرحمن الشيخلي، بإيعاز من شيخه السيد محمود شكري الآلوسي، وبالرغم من الجهود التي بذلتها لجنة المكتبة فقد عجزت عن إيجاد المال اللازم لإدارتها ورفدها بالمطبوعات والكتب، لذلك قررت إهدائها إلى وزارة المعارف، وسميت بالمكتبة العامة، وقد ألفت لجنة كان غنيمة أحد أعضائها لتسليم محتوياتها البالغة (٤٢٨٣) كتاباً إلى الوزارة المذكورة وذلك في ١٩٢٤/٧/٢٢، وبعدها نُقلت محتويات المكتبة إلى جناح في المدرسة المأمونية بباب المعظم، وكانت قد نقلت من مكانها مقابل جامع الخاتون إلى مبنى يقع في القسم الخلفي من الثانوية المركزية، ولم يطل عهدها في هذه البناية، إذ نقلت بعد ذلك إلى شارع الرشيد لتستقر في بناية واقعة في محلة (باب الأغا)، غير بعيدة عن مدخل سوق الصفارين، وعندما أنجز تشييد بناية (مكتبة الأوقاف العامة) سنة ١٩٣١ نقلت المكتبة العامة إلى هذه البناية لسعتها، وكانت هذه البناية من الأبنية الرائعة، وهدمت بقرار غريب سنة ١٩٦١ مع بناية جميلة أخرى هي المدرسة المأمونية، وفي عام ١٩٥٧ نقلت المكتبة العامة إلى شارع الزهاوي حيث شغلت دار المرحوم محمود سلمان (مستشفى الوزيرية الخاص حالياً)، ومن المفيد ذكره أن المكتبة العامة أصبحت من مديريات وزارة المعارف سنة ١٩٤٠، وصدر قانونها الخاص الذي نظم نشاطها سنة ١٩٦١، فسميت بالمكتب الوطنية، وفي أوائل السبعينات ألحقت بوزارة الثقافة والاعلام، ونقلت سنة ١٩٧٧ إلى بنايتها الجديدة (للمزيد راجع كتاب يوسف غنيمة، تأليف حارث يوسف غنيمة، جريدة العراق (مقالة الأستاذ رفعت عبد الرزاق محمد)، دار الكتب والوثائق، ٤ آذار ٢٠٠٠.).

مكتبة المجمع العلمي

من التراث البغدادي الأصيل

البغداديون.. كيف كانوا يستقبلون الصيف وحره

د. مجيد القيسي
باحث عراقي مغترب

لوحة بغداديات للراحل جواد سليم

عرف البغادة حر الصيف او (الكيظ)؛ كما كانوا يسمونه؛ وخصوصا في شهر آب؛ مثلما عرفه أجدادهم السومريون و الأكديون قبل سبعة آلاف عام؛ فعانوا من حره وسمومه ومضايقاته الشئ الكثير؛ لذلك أسموه بلغتهم آنذاك: (إيزي أيتو) أي شهر النار.

وقد ذكر البغداديون في وصفه عبارات كثيرة سارت مسرى الأمثال؛ من ذلك: (أبْ اللهّاب يحرك البسمارْ بالباب) و (آبْ نهاره لهّاب وليله جلاّبْ) و(أول عشرة من آب تفك من جهنم باب وثاني عشرة تقلل الأعناب وتكثر الأرطاب وثالث عشرة تفك من الشتا باب). وعلى الرغم من شدة حره وقسوة سمومه غير أن البغادة كثيرا ما كالوا له المديح نكاية بشهر (أيلول) إذ قالوا: (رحم الله أبْ...قتلنا أيلول بحرّه).

وكان كثير من البغادة يستقبلون سياط حره ولسعات سمومه بشئ من الراحة والإستئناس بالرغم من ساعات الضجر والمعاناة التي يشعرون بها بسبب شدة حره ويومه الطويل نسبيا. ومن أوجه تلك الراحة انه كان يستدعي الكثير من المواقف المحببة والمناسبات اللذيذة الطيبة كوجود فرص مواتية لتناول (الركي) المبرد تحت (حبّ المي) او مُغطس داخل (البير). او رشف ماء (ركية مكية)؛ وهي التي تحولت محتوياتها الى شبه سائل ذي طعم فيه بعض الحموضة. أو شرب ماء مبرد من (التُنكة) وقد تمت تغطية فوهتها بقطعة قماش (ململ) او بغطاء من الخوص. او تناول رشفات مباشرة من (الحبّ) او (الحُبّانة) او (البُوّاكة) التي تقوم بجمع (مي الناكوط) وذلك بواسطة مغرفة يسمونها (منشل) او (جيريّة)؛ او (بالشربة) الفخار التي تسمى أحيانا (الكرُّوزة) او الكوز). أو الإستمتاع بشرب (الشنينة)؛ أو شرابت (النكوع) أو (الزبيب الأسود) او (الرمان) أو (قمّر الدين) أو (تمر هند) التي إعتادت النسوة البغداديات على اعدادها والإحتفاظ بها لساعات النهار أو الى حين عودة الرجال والأولاد من (الشغل) مساء. وكذلك أكل الفواكه والخضراوات الطرية الطازجة كالطماطة والبطيخ و(التكّي) و(المشمش) و(الكوجة) و (العنجاص او ملا أحمد) المبردة. أومصّ قطع من الثلج لترطيب الشفتين وتبريد الفم الجاف (المفلحم).

وكثيرا ما تفتح أصوات الباعة الدوارين في (الطرّف) شهية البغدادي على مصراعيها لشراء قطعة من (العَلْ عُودة)؛ وقبل ان تحصل على اسم (لكي سْتك) الأفرنجي. او ان يشتري (كلاص بوز) او (دوندرمة) أو (كلاصية) أو (أزبري)؛ او يحصل على صحن من (القيمقْ او القيمقلي) اللذيذ المصنوع من الحليب الخالص المثلج مع السكر وماء الورد الطبيعي. وكيف كان بعض الباعة يتفننون بصنعه وعرضه بواسطة (العرباين) الأنيقة الصغيرة؛ وخصوصا الباعة (اليهود) الذين كانوا يدورون على زبائنهم أو معارفهم المفضلين من أصحاب الدكاكين في أسواق (الشورجة) و(قمبر علي) و(حنون الصغير)؛ وفي (الخانات) الكبيرة لتصريف بضاعتهم. وكان (القيمقلي) يقدم في صحون خزفية صغيرة؛ جميلة الشكل. كل ذلك كان يباع (بعانة).

آما إذا ما وجد البغدادي نفسه خارج المنزل فقد يحظى بعدد من المتع التي تخفف عنه وطأة الحر وهو يسير خلال (الطرقات) أو (الدرابين)؛ فيمر بالقرب من بوابات (الخانات) و الأسواق و (القيصريّات) المغطاة؛ حيث تنسل منها نسمات باردة منعشة كما تنسل (الصبايا) و (الحْديثات) من الأبواب ليلا لملاقات حبيب ما يزال ينتظر عند راس (الدربونة) وهو يرتجف خوفا من أن ينكشف أمره. او ربما يمر بأحد الدور التى تضع على أبوابها أو نوافذها (عمّاريّة عاكول) تعلوها (تنكة) او (بيب) او (طرمبة) لتزويدها بالماء ، فتراه يتثاقل أو يتوقف قليلا عند تلك المحلات لتنسم أكبر قدر من الهواء العليل دون أن يعترضه او يسلب متعته المجانية (ناظر خان) او (صاحب دار) او (شرطي). وقد يخرج اليه من في الدار (بكاسة) أو (برداغ) ماء مبرد او (جدَح) شربت طبيعي لذيذ. فلاغرابة في أن تسود تلك المشاعر الإنسانية بين الناس زمن الخير والبركة. فقد وفر بعضهم الى البعض الآخر سبل التراحم والمحبة وتقديم العون؛ ولسان حالهم يقول (الناس إلبَعضها) و (شربة مي لمسكينْ تبعدك عن جهنمْ سنين).

أما إذا ما داهمه العطش وهو بعيد عن المنزل ولم تكن لديه نقود؛ فقد يجد ضالته في (السبيل خانات) المنتشرة في بغداد الأمس لتقديم ماء الشرب المبرد للمواطنين؛ وقد تبرع بها الناس الأخيار كعمل من أعمال البر والخير وطلبا للنجاة في الآخرة. وليتذكر الناس مأساة (الإمام الحسين) وهو يلقى ربه وأهله وهم بحسرة الى شربة ماء. وقد تكون تلك (السبيل خانات) (حُبُوب) او (تانكيّات) معدنية يتم تزويدها بالماء من قبل (السقاقي) أو بواسطة (بوريات مصلحة الإسالة). كما يتم تبريد مائها بقوالب الثلج؛ وذلك قبل أن تكون الثلاجات الكهربائية قد عرفت بعد.

والسير في (ألسواكة) و(الدرابين) و(الأطراف) أيام (الكيظ) يعد من متع البغدادي التي يحرص عليها حرصا شديدا. فلم تكن مدينة بغداد (المركزية) في عشرينات وثلاثينات القرن المنصرم مدينة كبيرة. فهي تقع بين (الباب الشرجي) و(الباب المعظم). ويقطعها نهر دجلة من الوسط الى صوبي (الرصافة) و(الكرخ). وتوجد معظم الأسواق في صوب (الرصافة) مثل (سوك الصياغ) و(سوك الساعجية) و(سوك الصفافير) و(سوك السراجين) و(سوك السراى او الصراي) و(سوك الهرج) و(سوك القزازين) و(سوك الخفافين) و(سوك الغزل) و(سوك الدهانة) و(سوك الشورجة) و(سوك حنون) و(سوك قمبر علي). وكذلك (الخانات) الكبرى مثل (خان جغان) و(خان زرورْ). فضلا عن الدوائر الحكومية والكليات ودور المعلمين. أما خارج منطقة (الباب الشرجي) فهناك مزارع (الكرادة) التي تنتشر فيها (الجرُود) و(الأبكار) و(الآبار). فكانت حقول (الخضراوات) و(الخس) تمتد البساط الأخضر من (البتاويين) بعيدا بإتجاه (العلوية) و(إرخيتة) و(أبو قلام) و(الزوية). كما كانت تأتي مباشرة بعد منطقة (باب المعظم) بساتين (العلوازية) و(الكسرة) العامرة بقصورها العالية؛ حيث تشاهد منها أنوار قبة ومنارة (الإمام ابي حنيفة النعمان) (رض) والمزينة بالقاشاني المخضر الزاهي الجميل. أما مدينة الإمام (موسى الكاظم) (رض) فكانت تنفرد بموقع خاص يقع قبالة مدينة (الأعظمية) من الضفة الثانية للنهر؛ حيث تشاهد قباب ومنائر الضريح المذهبة وهي تبرق في أشعة الشمس وكأنها قناديل متلألئة.

وجميع تلك الأسواق مسقوفة لحمايتها من الأمطار والرياح وأشعة الشمس ووهجها؛ مما يخفف من قسوة الحر ويضعف من هبوب السموم أو (اللاهِفْ) وبالتالي تسهيل مهمة الشخص المتجول لإتمام سياحته وتسوقه. فهو حين يتنقل بين محلات (الفضل) او (باب الشيخ) أو (أبو شبل) وبين (سوك الصفافير) مثلا؛ فانه لا يتأثر بأشعة الشمس المباشرة ولا حتى بوهج السموم الشديد إلا حين يقطع (الجادات) و(العكود) مثل (جادة خليل باشا – شارع الرشيد) او (عكد الصخر– شارع الأمين) المكشوفة ولدقائق قليلة. فكان المتسوق يستمتع بالتفرج على المحلات او الوقوف عند بعضها الآخر؛ او السلام على صديق قديم. فكانت الساعات الزمنية تختزل الى مشاهد مريحة للنفس وقد نسي البغدادي حكاية (آب اللهّاب). فعلى سبيل المثال كان المرء يومها ينطلق من منطقة (راسْ الكرَيَّة) فيمر بجميع تلك الأسواق و(الخانات) ليصل في النهاية إلى منطقة (باب المعظم) دون أن يشعر بحر قاس او بتعب شديد.

ولا بد للبغدادي؛ وهو يتجول لساعات طويلة؛ من إن يأخذ قسطا من الراحة وليطفئ ظمأه وذلك بزيارته إحدى (الكهاوي) الشهيرة؛ ومعظمها تقع في القطاع الذي يتجول هو فيه؛ ومنها: (المصبغة) و(الخفافين) و(المميز) و(الشابندر) و(خليل القيسي) و(عارف) و(حسن عجمي) و(الزهاوي) و(البلدية) وغيرها. فيدلف الى إحداها ليشرب (إستكان چاي) او (چاي حامض) وليرشف (فنجان كهوة) ويدخن (راس تتن هندي او شيرازي) لتعديل مزاجه. وقد يود الأستمتاع بصوت الفنان الكبير (محمد الكبنچي) او الفنانة القديرة (سليمة باشا) من (الفونوغراف). وقد يحمسه صوت المذيع من (الراديون) فينادي (بايع الجرايد) ليطلع على أخبار البلد والعالم؛ وليتقده (عانة) او (خمسة فلوس) لقاء ذلك.

وبالرغم من وقوع (الكهاوي) على مسافات متقاربة غير أن المرء يمكنه الحصول على مشروبات مبردة في كل مكان. من ذلك مثلا (پرداغ شربت زبيب) طبيعي من محل الحاج (زبالة) الشهير والقريب من (جامع الحيدرخانة). وقد يشتهي معه قطعة جبن و(صمونة) لإسناد معدته كما يقولون. وهناك كذلك (شربت عرْك السوس) و(لبَن شنينة). على أن لا ننسى (شربت مَي الورد) المنتشر في تلك الأسواق والذي يعد من ألذ الشرابت وأكثرها نقاء وصحة. فهو لايحتوي على أية مواد مضافة ضارة بالصحة. فخلطته ماء قراح قد أضيف اليه قليل من السكر (القند) و(مي زهر)؛ أي ماء الورد الطبيعي وقطع من الثلج. فلو نظر المرء الى البائع وهو يحمل (جردلا) مليئا بالشربت وقد طليَّ بالخزف الأبيض مثل ذلك الذي نشاهده في المؤسسات الصحية لظنه موظفا صحيا... لابائع شربت !. لقد كان الناس يومئذ جميلي المظهر ومخلصين في عملهم ويخشون الله كثيرا.

والمألوف أن كثيرا من البغادة كانوا يتحينون فرصة الخروج من المنزل وألذهاب الى الأسواق لشراء بطل (نامْليتْ) والتلذذ بطعمه الطيب وألإنتعاش بمذاق (الصودا) اللاذع المحبب. وخصوصا بعد أكلة بغدادية دسمة. و(النامليتْ) مرطب دخل العراق في بدايات القرن الماضي. وقد لاقى قبولا حسنا من البغادة بعامة والعوائل الموسرة بخاصة. فهو مشروب طبيعي وصحي لخلوه من أية مادة إضافية ومكيفة قد تضر بالإنسان. وقد نذكر هنا على سبيل المقارنة مشروب (الكولا) الذي دخل البلد في بدايات الأربعينات فهاجمه

بعض المختصين وأنتقد محتوياته الكيميائية؛ وهي خلاصة (الكوكا) المكيفة والكافيين وحامض الفسفور والغليسرين وغيرها.

وكان البغدادي شديد الإعجاب ببُطل (الناملية) الذي يزهو بألوانه الجميلة وبهيئته الأنيقة الغريبة؛ وقد تخصر من أعلى وسطه وكأنه جسد غانية إتصف بالجمال وبالرشاقة (أنظر في الشكل السابق). أما فوهته فيتم إغلاقها بواسطة (الدَّعْبَلة). وهي كرة زجاجية محكمة الصنع وظيفتها منع إنسكاب السائل أوتسرب غاز الصودا. ويصنع (الناملية) لعموم الناس من محلول السكر المضافة اليه المنكهات والألوان الصحية. ومن ثم يشحن بغاز (ثنائي أكسيد الكربون) لإعطائه مذاق (الصودا) اللاذع. وقد يكون إسم (الناملية) قد صحفه الناس وقلبوه عن لفظة (ليموناتا).

أما الأسر المقتدرة فهي لها خلطتها الخاصة التي تعدها في المنزل؛ ويسمونها (الشربت)؛ حيث يجري تحضيرها من (عصير الليمون) او (الرمان) اوغيرهما. او يحضرونه من محلول (الليمون دوزي) و(السكر) و(لون غذائي) بنكهة معينة. وقد يضاف إليها أحيانا (ماء الورد) او (البنفشة). وبعد ذلك يؤخذ الى معمل التعبئة الصغير. وهناك تتم تعبئته بالقناني الخاصة ذات الكرة الزجاجية وإعادته الى أصحاب (الشربت). وتعبئة هذا النوع من القناني التي إختفت من حياتنا ولم يعد يتذكر طيفها سوى بعض الشيوخ؛ لايخلو من إثارة تقنية جميلة. فبعد أن يبدأ العامل بإدخال أنبوب ألآلة ليملأ القنينة (بالشربت) يقوم بفتح صنبور (الغاز) المرافق وبالسرعة المطلوبة. فيأخذ تيار (الغاز) القوي الخارج من (البطل) برفع (الدعبلة) من منطقة التخصر نحو الفوهة بسرعة لتتسمر في الفتحة من الداخل؛ فتؤدي إلى غلقها؛ حيث يسمع لها نقر واضح. أما إذا أريد فتح (البطل) لشرب محتوياته فما على المرء سوى إستعمال قطعة خشب او (عُودة) لغرض دفع (الدعبلة) نحو ألأسفل. وقد أوتي بعض الشبان من قوة الأصابع ما يساعدهم على دفع (الدعبلة)؛ وسط صيحات الإعجاب من الحاضرين. (أنظر مليا في الرسم أعلاه). والملفت للنظر أن هذا النوع من القناني صحي وأمين لأن السائل لن يلامس سوى الزجاج؛ حسب.

أما في المنزل؛ فقد إعتاد البغدادي على القيام بالعديد من الاجراءات الضروية للتخفيف من وطأة (آب اللهّاب). وقبل ألإشارة إلى تلك الإجراآت ينبغي أن نؤكد على حقائق علمية وتقنية تعلمها ألإنسان العراقي من تأريخه الناصع الطويل الذي لازمه ملازمة الظل للشاخص. وأول تلك الحقائق أنه كيّف نشاطه اليومي ليتواءم مع بيئتة الحياتية ومع الطقس بفصوله المتقلبة؛ وبخاصة في موسم الحر الشديد؛ أي خلال أشهر حزيران وتموز وآب؛ وفي موسم البرد القارس وخصوصا في (المْربعانيّة) وبرد (العجوز). هذا فضلا عن ألأمطار والعواصف الترابية (الغُبرة) التي يتضايق منها البغادة وخصوصا من كان يشكو من (تنك نفس)؛ بل ويتشاءم منها البعض ألآخر. لذلك نراهم يعتلون المنابر والمنائر للدعاء قائلين: (ياقريبْ الفرجْ عالي بَليّا درج؛ عبدكْ بشدة ويطلبْ مِنك الفَرَجْ... ياربْ) كما تسمع النسوة العَجائز وهن يولولن: (بعد شي يسوّي بينا رب العباد.... هذا كله من أفعالنا الشاينة) !؟.

وكثيرا ما يواجه البغادة ايام عصيبة في موسم (الكيظ) وأيام (الوغرة)؛ وأخص بالذكر (العمّالة) و(الصنايعجية) الذين يعملون في مهن شاقة (كالحداحدة) و(التكمجية – السباكين) (والكوّازة) الذين يقفون وجها لوجه أمام (الكُورة). وكذلك (المكينجية) وأمثالهم. وقد تتضاعف المعاناة في شهر الصيام؛ فتجد العمال وهم يقذفون بأنفسهم وهم بملابسهم؛ تحت (طرمبة المي) او أقرب (ساكية) او يدلقون فوق رؤسهم (بياية المي).

ولطالما إنحصر حديثنا في موسم الحر؛ وخصوصا في (شهر آب) فسوف نشير وبعبارات قليلة الى خبرة البغدادي الواسعة وباعه الطويل في بناء مدنه وطرقاته ومساكنه وإعداد مستلزماتها؛ مثلما إختار طعامه وشرابه ولباسه ودواءه. فهو قد جعل مساكنه متجاورة ومتراصة؛ وطرقاته أقرب ما تكون إلى ألأزقة الضيقة المعقودة هنا وهناك للتقليل من آثار أشعة الشمس ووهجها؛ وللتخفيف من رياح السموم صيفا والرياح الباردة شتاء. وإذا كان لمساكن البغادة الخاصة بالوجهاء مواصفات معمارية شبه معيارية؛ وقد ترسخت طوال السنين؛ فأن تصاميم دور العامة من الناس جاءت بسيطة وعفوية مع إحتفاظها بالشروط البيئية العامة.

وتتكون دور الموسرين من (حوش) او (صحن) أي فناء في الوسط. وغالبا ما يكون فيه (شذروان) او نافورة. ويحيط (بالحوش) (الطرار) أى الممر و(أللِيوان) او الطرمة المعدة لجلوس الأسرة والتي يتم رفعها على (الدلكات) الجميلة. ثم تأتي (الغرف او الحلوك). وبعد مدخل الدار يأتي مباشرة (المِجاز) وإلى يمينه (الديوه خانة)؛ وليس بعيدا عنها (الحرم). ثم تأتي المرافق المساعدة مثل (السِّرداب) و(البادكير) و(الكلر) وغرفة (الخدم) و(المطبخ او الموكد) و(الحَمام) و(الخلخانة – المرحاض). ثم يليه الطابق الثاني وفيه بقية الغرف (بشناشيلها) المتعالية البديعة. وقد نجد بين الطابقين غرفة

(ألأرسي) او الشرفة. وتُحمل الشناشيل فوق الجدران بواسطة أعمدة أفقية تسمى (الجَرَصوُنات). وعادة ما تبنى مثل تلك الدور الفخمة (بالطابوك ألأصفر المكصوص) أو (بالطابوك السميجي) المفخور بدرجات حرارة متفاوتة. وتأتي بعد عملية رصف ألآجر خطوة (الدَّرزْ) العادي. أما إذا طلب صاحب البناء طراز (الچفْ قيم) الجميل فينبغي عمله أثناء رصف (الطابوك) بإستعمال (مسطرة) خاصة. أما السقوف فتنجز (بالعْكادة) و(الطوُك) أي ألأقواس المعروفة. وقد أستعملوا كذلك (الطابوك الفرشي) لرصف ألأرضيات والسطوح. واستعملو بعد ذلك (الطابوك السودائي المصنوع من مزج (الجير الحي أو النورة) مع (الرمل ألأسود). كما إستعملوا في البناء (المونة) بأنواعها كحشوة مناسبة بين (سُوف) ألآجر؛ وهي (الجصّ) و(النورة) التي هي مزيج من (الجير الحي) و(رماد الحمامات). وتتميز هذا الحشوة بالقوة وبالمتانة مع مرور الزمن؛ حيث تتحول الى مادة ذات خصائص إسمنتية متصلبة. أما في إكساء الجدران من الداخل أو من الخارج فعادة ما كانوا يستعملون الجص المعروف بطريقة (البياض) الصقيل او (اللبُخ) او (المِلح) او (النثر). ولابد من التنويه بأن كافة مواد البناء التي سبق ذكرها تمتاز بالعزل الجيد للحرارة؛ وقد تعززت دورها عبر التأريخ الطويل للعمارة البغدادية.

وقد أدخلت أعمدة (حديد الشيلمان) مؤخرا في عمليات (العكادة). أما في التغليف فأستعملوا صفائح (الخشب المعاكس) و(ألأسبست) الضار بالصحة. كما إستعانوا أخيرا (بصفائح (الچنكو) و(حديد التسليح) و(الخرسانة) مما أخل بمواصفات العزل الحراري للبناء. تلك المواصفة التي لم يولها المسؤلون ألإهتمام اللاّزم بالرغم من أهميتها القصوى. أما الجانب المعماري أو الفني فقد أولاه البغدادي ألأصيل عناية خاصة منذ آلاف السنين وحتى القرن ألأخير؛ حيث بدأ فيه تآكل وتشوه (العمارة البغدادية) ألأصيلة من حيث الشكل والريازة والوظيفة والمواصفات؛ حتى فقدت هويتها التأريخية المعهودة؛ بعكس ما نراه اليوم في (الشام) وفي (مصر) وفي بلدان (المغرب العربي) مثلا. بل وقد أدهشنا أن نجد بعض الأقطار ألأوربية مثل (إسبانيا) ما تزال تبذل جهودا كبيرة للحفاظ على التراث المعماري العربي– الإسلامي العريق. وبالنظر لسعة الموضوع فليس بالإمكان شرحه بالتفصيل في هذه العجالة نظرا لضيق الوقت على الرغم من أهميته وطرافته وعشق البغدادي له.

أما مساكن البسطاء من البغادة والتي تشكل الغالبية العظمى فتبنى (بكسرْ الطابوك) أو (ألإشكنك) وحتى (اللبنْ). وقليلا ما يستعمل فيها ألآجر الصحيحَ لإرتفاع ثمنه. أما المُونة فهي نفس المونة المعروفة. وقد تترك الجدران بدون إكساء او يتم (ملجها) او (درزها) بإستعمال (الجص). أما الجدران فتكون عريضة بسبب وجود (التربيع) او الحشو بين الجدارين للتقوية وللعزل الحراري الجيد. لكن مثل تلك الحيطان تكون عرضة إلى (التدوبلْ) أي أنها (تنطي بطن) كما يقولون وذلك بمرور الوقت. وقد تتعرض إلى ألإنهيار فجأة. وكثيرا ما كان البغادة يتندرون حين يشاهدون (توزيرة منتفخة) بأنها (مْريّة حبلى بشهرها !). اما السقوف فتكون عادة من خشب (القوَغ) اوجذوع النخيل او ألأشجار ألأخرى. ومن (الحصران) و(الكصب). ثم يجري (رشك) السطح (بالطين) المخمر مع (التبن). وكثيرا ما يطلب البغدادي فتح (سِمايةَ) او كُوّة في سقف الدار للإضاءة.

ويحاول البغدادي المقتدر توفير مستلزمات التبريد في مسكنه وإعداد طعامه وملبسه بكل حرص. وأولها بناء (سرداب) و(بادكير). ومن لم يسمع بإسم (البادكير) نقول بأنه (قناة) في الجدار تمتد من قاع (السرداب) وتنتهي عند ستارة الطابق الثاني. وله وظيفة مدهشة حيث يقوم بتحريك تيار الهواء المبرد في الدار وجذبه نحو الفتحة ومن ثم نحو السطح على وفق قاعدة (الحمل) الفيزيائية. وكثيرا ما إختصم ألأبناء حول من ينام عند الفوهة. ولا يحسم ألإشكالية إلا مجئ (ألأب) !. وكخطوة رئيسة ينبغي وضع الستائر الخشبية (البنجور او البنجرة) او (البردات) على الشبابيك لحجب اشعة الشمس. ووضع (العَمَّاريّات) المصنوعة من (العاكوُل) و(جريد النخيل) عند ألأبواب والنوافذ. ولقد جاءتنا بعد ذلك وسائل التهوية والتبريد الحديثة مثل (البنكات) و(مبردات الهواء) وأخيرا (مكيفات الهواء) التي جلبت معها ألأعطال والمصاريف الباهضة والهموم الثقيلة التي لا نهاية لها. أما على المستوى الشخصي فقد إلتجأ البغدادي الى (المهافيف) اليدوية المنقوعة بالماء؛ وكذلك (المهفات السقفية المتأرجحة). كما أولى عناية شديدة بشرب الماء المبرد وإستهلاك كميات من الثلج. وإستعمل لهذه ألأغراض (الحبّ) الفخار الذي يُجلسونه على (السِّكمْلي) الخشب ويغطونه بصينية او بغطاء من الخشب او بواسطة (الچرچف). وبالنظر لخاصية (الحب) المسامية فنجد الماء يتبخر من سطحه فيؤدي الى تبريده. كما أن الماء الناضح (ألناكوط) فيتجمع في وعاء صغير يوضع في الأسفل منه ويسمونه (البواكة). ويكون ماؤها مبردا لذيذا. أما شرب الماء فيتم بواسطة (المَنشل) او (الجِبرية).

وهي (مغرفة) مخروطية الشكل تصنع من القشر او العيدان وتطلى بالقار. ويكون الشرب بها لذيذا ومنعشا.

وأحيانا يستعمل (الكرُّوزْ) لإغراض الشرب وهو (الكوُز) الفخار. ولجميع تلك الأدوات نكهة خاصة محببة ومذاق فريد حين تحتك بألأسنان ويلامسها اللسان والشفتان. وقد يشاهد البغدادي (العَلك) وهو يسبح في ماء (الحب). وهو في ألأصل (يرقات) البعوض او سواه. ووجود (العَلق) أمر مألوف بين البغادة. وقد ينفر من شكله الطفل (المكتبلي) الذي علموه مضاره في (المكتب)؛ فتنهره ألأم قائلة: (إبني كشّه وتزقنبْ....ما شايفْ عَلك !؟).

وهناك أيضا (الحُبّانة) وهي وعاء من الفخار أصغر من (الحبّ). وكذلك (التُنكة) او القُلة. وهي على أنواع؛ لعل اشهرها (الخضراوية). و(التنكة) هي رفيقة البغدادي أينما تنقل داخل المنزل. فحين يصعد الى السطح لغرض النوم أثناء موسم الصيف تسبقه اليه لتستقر على زاوية (المحجر) او فوق (التيغة). وهي (السِّتارة) التي تحيط بسطح البيت؛ لتكون الى جوار أصحابها: (شياف الركي) و(جدر البامية البايتة) ذات الطعم المتخمر اللّذيذ والتي كثيرا ما كانت مدعاة للتنافس او المعابثة بين أفراد العائلة الواحدة !.

ولقد بينا سابقا شدة إهتمام إبن بغداد بمأكله ومشربه وملبسه أيام الحر الشديد. فبالنسبة للملبس فنجد الرجل يفضل الأقمشة المسامية الرقيقة. وقد يفضل بعضهم العكس. ومن بين ألبسته (دشداشة الخام ألأبيض) و(الصايه البوبلين) و(العباية) الرقيقة. ويلبس في ألرأس (العرچين) و(اليشماغ) و(الغترة) و(الكشيدة) و(العكال العادي او المكصب او المكنكر) و(السدارة الفيصلية) السوداء او (السكوچية) الملونة. أما النسوة فيفضلن أقمشة (الجرجيت) و(الحرير) و(الستن) و(الململ). وفي الرآس (الچرغد او (البايش) او (العصابة) أو(الفوطة).

أما فيما يتعلق بالمشربات فقد أولى البغدادي عناية فائقة بالعصائر و(بالشرابت) الطبيعية الصحية للتعويض عن السوائل المفقودة بالتبخر حيث أشرنا الى عدد منها؛ أبرزها (شربت النكوع)؛ وهو (المشمش المجفف) ألذي يعد ارخصها وألذها. وكذلك (شربت الزبيب) الأسود الشائع بين الناس والذي يصفونه للتلاميذ أيام الإمتحان بأنه (أكسير) للذكاء ! لأنه (يشرح الصدر) و(يْصفي المخ)؛ حتى قالوا فيه قولتهم الشائعة: (شربتْ زبيبْ... واليندبْ أللّه ما يخيبْ). ولهذا السبب بالذات كنا نَحن طلبة (المَدرسة ألإعدادية المركزية) من الملازمين لمحل الحاج (زبالة أبو الشربت). وكان هو يعرف هذه (السالفة) ألإعلامية التي لاتخلو من صدق. فقد كان يلبي طلبات التلاميذ فيزودهم (بكلاص شربت براسه) أي (ما مْكاسَرْ). والمشهور عن الزبيب أنه من المواد الغذائية المركزة والغنية بالسكر ألأحادي وبالمعادن وبالأحماض العضوية الطاردة لسموم الأبدان؛ فضلا عن نكهته الطيبة التى لاتقاوم.

وفي أيام طفولتنا شاعت بين ألأسر الغنية والفقيرة على حد سواء صناعة (الدوندرمة) او (البوز) في المنازل كسلاح ماض للوقوف بوجه (آب اللهّاب). وكانت تستعمل لذلك الغرض آلة صغيرة تسمى (العلبة). وهي وعاء معدني دوار توضع فيه (خلطة الشربت) المكونة من خلاصة (ألأزبري) ألأحمر او (روح البرتقال) المصنعة والمضافة إلى محلول السكر. ثم يوضع الوعاء الدوار داخل إسطوانة أو وعاء آخر أكبر منه قليلا يحتوي على قطع الثلج مع كمية كافية من مسحوق ملح الطعام (أنظر في الشكل). وبينما يأخذ ألأبناء بتدوير وعاء الشربت تأخذ محتوياته بالتجمد لتتحول الى (دوندرمة) لذيذة ومنعشة ورخيصة الثمن. ويكاد اليوم الذي تنوي فيه ألأسرة عمل (الدوندرمة) يتحول إلى إحتفالية صغيرة حيث ينافس الكبار الصغار في إلإمساك بعتلة (العلبة) لتدويرها وهم ينتظرون بفارغ الصبر إستكمال تجمد الشربت ليهنأوا بأكلة فريدة لا تأتي إلا كل صيف لتخفف عنهم شرور (آب اللهّاب) الذي لايرحم. ومن أطرف ما يحصل هنا هو قيام ألأطفال بتحين الفرصة وإستغفال (ألأم) ليأكلوا بأصابعهم شيئا من (الدوندرمة) قبل أن تجهز بحجة تذوقها. وهذا هو شأن ألأطفال دائما.

وها نحن نصل إلى نهاية هذه السياحة اللطيفة الشائقة التي دعانا إليها (إبن بغداد) الصابر ألأبي الذي حفظ لنا تأريخ حاضرته العريقة ورعى تقاليدها الجميلة؛ لنرافقه في تجواله ولنسير معا في طرقاتها ومشاهدة أسواقها وخاناتها العامرة؛ وقد إحتضنها حر (آب اللهّاب) وسَمُومه و(لاهفه) المحبب. ونامل أن تكون هذه التذكرة الخاطفة تحية خالصة له لنبقى؛ نحنَ الضاربين في بقاع ألأرض؛ خالدين في ذاكرته ووجدانه وتأريخه.

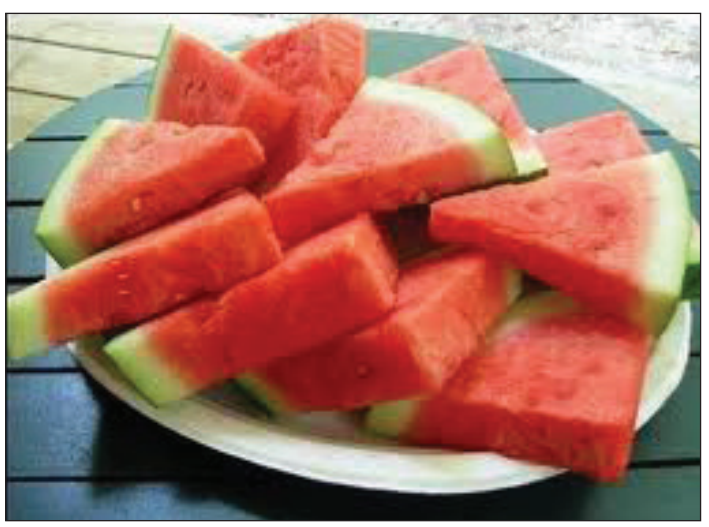

لكل بستة عراقية قصة واقعية

يابابة خذني وياك

ستار البغدادي

ويُحكى ان جنديا جاء لتوديع عائلته ومن ثم الالتحاق الى وحدته في الجيش وذلك عندما اعلنت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤م بين الترك العثمانيين وبين التحالف الاوربي بزعامة بريطانيا العظمى زمنذاك. فخاطبته ابنته ملتاعة لفراقه قائلة:

يمسافر الله وياك اوكف دحاجيك
خاف الفراك يطول ما بعد الاجيك
يابابة خذني وياك مكدر على فركاك
تواعدني وين الكاك روحي العزيزة تفداك.
هلو
ولم يخب ظنها.. فالوالد خرج ولم يعد!!

المسيجينة

يحكى ان لهذه البستة قصة تروى في المحافل والمقاهي والمنتديات وتدور حول احدى الفتيات المسكينات من اللواتي لا رأي لهن في مستقبلهن وزواجهن وشؤونهن الاخريات. زوجت بمن تكره وكان الصداق او المهر حينذاك يقوم بالعملة العثمانية (النوط) وكان هذا النوط في اخر درجات التدهور وذلك بسبب قيام الحرب العالمية الاولى واندحار الترك امام قوى الانكليز والفرنسيس وغيرهما.. وكانت الليرة الورق تساوي ما يقارب الربع دينار العراقي الحالي وربما اقل مما دفع هذه الفتاة المسكينة ان تجار بالشكوى من هذا الظلم الواقع عليها، وكانت تقول:

انا المسيجينة انا
انا المظليمة انا
انا الباعوني هلي
بالنوط والوعده سنة

اي ان هذا النوط سيصرف لصاحبه بعد مرور سنة على انتهاء الحرب واخيرا وليس اخرا انتهت الحرب بعد مرور اكثر من اربع سنوات ولم يصرف النوط المحترم لا بالذهب او الفضة ولا حتى بالفلسان والعانات.

عسنك

ومن القصص المتداولة في البستة العراقية التي تخلفها دوما الفورات العاطفية الهادئة احيانا والجموحة في احيان اخر ومنها بستة او اغنية عسنك واصلها عسى انك.. ان تكون كذا وكذا.. ومحور القصة هنا ان فتاة كانت مخطوبة لإبن عم لها كانا يتبادلان المحبة والاخلاص والتخطيط لعش المستقبل، كل يوم تقريباً وكان ابن العم هذا سباحا ماهراً يعبر نهر دجلة الخالد للالتقاء بمحبوته لكن الجسر الخشبي الذي يربط الكرخ بالرصافة قد (انقطع) اي جرفته مياه الفيضان الذي كان يهدد بغداد في كل موسم ولم يعد بوسع المحب العبور والوصول الى الحبيبة الغالية. وبعد مرور عدة ايام لم يعد بامكان الحبيبة التمسك بحبال صبرها. الا انها وجدت النهر في موار وتدفق عجيبين، فاستعطفته في التخفيف من غلوائه وان يعود الى جريانه المعهود، وأن يخفض من مستواه لتعبر هي الى ابن عمها، وحبذا ان يكون الخفض بمستوى ساقها. تقول في استعطافاتها:

عسنك، هلو يبه، ياشط عسنك
ميك لحد الساك، ياشط عسنك

يهل المروة

البستة العارّقية لعبت دورا مهما وبارزا في مجال الطرب العراقي الاصيل.. وهي ذات مضامين اجتماعية وعاطفية وسياسية، وبأساليب شعرية خفيفة، بعيدة عن التكلف والتزلف، والبستات كثيرة ومتنوعة منها ما هو مسموع وشائع بين الناس ومنها ما يهمس في الآذان ومنها ما اهملها الزمن وتركها قراء المقام لتغيير الاذواق من جيل الى جيل. ومن هذه البستات الجميلة (يهل المروة شلون سوولي جارة) وهذه من تسجيلات المقامي المرحوم يوسف الكربلائي وقد سجلها على اسطوانة يوم كان لها تاج وصولجان. والقصة تدور حول فتاة تدلهت بحب احد الشبان تعرفت عليه في سوق العمارة (كوت العمارة) ولم تعد تقوى على كتمان ما بها من تلهف واشتياق للقائه. لذا راحت تناشد الاخيار من اهل النجدة والنخوة ليدلوها على الحبيب الغائب، وان يخضوا لنجدتها وطفقت تقول للقوم المحيطين بها:

يهل المروّة شلون
سوولي جارة
ولفي تركتني وراح
بسوك العمارة
يا اهل المروّة والاحسان كيف الحل ، اريد حلاً.
أليفي تركني وذهب الى سوق او كوت العمارة..

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون